

” الأهـل والآل“ بين الأنساب القَدَرية والأسباب الشرعية



الإرادة القدرية والإرادة الشرعية

**الإرادةُ الشرعيةُ** (( هِيَ أوَامِرُ اللهِ ونَوَاهيهِ، فَنَحنُ نَعلمُ أنَّ اللهَ  يُـرِيدُ مِنَّا أدَاءَ الصَّلاةِ والصَّومَ وَالحَجَّ وَالجِهادَ، وهذِهِ **إرادةٌ تشريعيةٌ**.. وَمِنَ المعلوم أنَّ **الإرادةَ التشريعيةَ** تتعلَّقُ بأفعالِنا نَحْنُ لا بأفْعالِ اللهِ .. **والإرادةُ التكوينيةُ** تتعلَّقُ بأفْعالِ الله  ولا دَخلَ لأفعالِ العَبْدِ فيها ))([[1]](#footnote-0)).. أيْ أنَّ **الإرادةَ الشَّرعيةَ** تكونُ فِي الأوامِرِ الإلهيةِ المَسْؤولِ الإنْسانُ عَنْ إتيانِها، والنَّواهِي المَسْؤولِ عَنْ تَرْكِها([[2]](#footnote-1)).. وَقَدْ تَخْتلِفُ التَّسْمِياتُ لِهَذَينِ النَّوعَيْنِ، ولكِنَّ المُسمَّياتِ تَبقَى واحِدةً .. فهُناكَ مَنْ يُطلِقَ عليهِما ٱسْمَ «**الإرادةِ القَدَريةِ، والإرادةِ الشَّرعيةِ**»، وهُناكَ مَـنْ يُطلِقَ عَلَيهِمَا ٱسْمَ «**الإرادةِ التَّكوينيَّةِ، والإرادةِ التَّشريعيَّةِ**»، وهُناكَ مَـنْ يُطلِقَ عليهِما ٱسم «**الإرادةِ الكونية، والإرادةِ الدِّينيةِ**».. وقدْ أفاضَ ٱبنُ القيِّمِ الحَدِيثَ فِي مَعنَى الإرادتينِ في كُتُبِهِ، وبيَّنَ الكثيرَ مِنَ الأُمُورِ المُتعِّلقةِ بِهِما، وٱستَشْهدَ لَهُمَا بِكثيرٍ مِنَ الآياتِ القُرآنيةِ([[3]](#footnote-2)).. وَقَالَ الشَّعْراوِيُّ عنْهُما فِي تَفْسيرِهِ: (( وهُناكَ فَـرقٌ بينَ **أمْـرٍ كَوْنِيٍّ**، **وأمْـرٍ شَـرعيٍّ**.. **الأمـرُ الكونيُّ**: هُوَ مَا يَكُونُ وَلَيسَ لَكَ فِيهِ ٱخْتِيارٌ فِي ألاَّ يَكُونَ.. **والأمرُ الشَّرعيُّ**: مَـا لَكَ فِيهِ ٱخْتِيارٌ مِنَ المُمكِنِ أنْ تُطيعَهُ؛ فَتَكُونَ طائِعاً.. أوْ تَعْصِيَهُ؛ فَتَكُونَ عَاصِياً ))([[4]](#footnote-3)).. وَمِنَ الثَّانِي، وَبِسَبِبِهِ آخَذَ ، بَـلْ أخَذَ اللهُ ٱبْنُ نُوحٍ.. ذَلِكَ العَمَلَ غَيْرَ الصَّالِحِ.. وَبِسَبِبِهِ أيْضَاً عَاتَبَ اللهَ  نَبِيَّهُ نُوحَاً وَوَعَظَهُ؛ لِئَلاَّ يَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ الَّذِينَ يَسْألُونَ رَبَّهُمْ - أحْكَمَ الحَاكِمِينَ -  مَا لَيْسَ لَهُمْ بِحَقٍّ؛ وَبَيَّنَ لَهُ  (( أنَّهُ بِكُفْرِهِ الإرَادِيِّ قَدْ قَطَعَ صِلَتَهُ بِكَ؛ فَأخْرَجَ نَفْسَهُ بِٱخْتِيَارِهِ مِنْ دَائِـرَةِ **«أهْلِكَ»** !!! ))([[5]](#footnote-4))..

إنَّ **الأسبابَ الشَّرعيةَ** هِيَ رابِطةُ التجمُّعِ بَيْنَ بَنِي البَشَرِ وَ(( هِيَ أرقَى صُورَةٍ لِلتجمُّعِ الإنْسانيِّ تَلِيقُ بِالكائِنِ الإنسانيِّ، وتُميِّزُهُ مِنَ القَطِيعِ !! كَمَا أنَّها هِيَ الصُّورةُ الوَحِيدةُ الَّتِي تَسْمحُ بِالتَّجمُّعِ بِلا قُيُودٍ؛ لأنَّ القيدَ الوَحِيدَ فِيها ٱختياريٌّ يُمكِنُ لِكُلِّ مَنْ يشاءُ أنْ يفُكَّهُ عنْ نفسِهِ بِإرادتِهِ الذاتيَّةِ، فهُو عَقِيدةٌ يَختارُها بِنَفْسِهِ فَيَنْتَهِي الأمْـرُ.. عَلَى حِينِ لا يملِكُ الفردُ أنْ يُغيِّرَ قَوْمَهُ إنْ كانتْ رابِطةُ التجمُّعِ هِيَ القومُ، وَلا يملِكُ أنْ يُغيِّرَ لونَهُ إنْ كانتْ رابِطةُ التجمُّعِ هِيَ اللونُ، وَلا يملِكُ أنْ يُغيِّرَ لُغَتَهُ إنْ كانتْ رابِطةُ التجمُّعِ هِيَ اللُّغةُ، وَلا يملِكُ - بِيُسْرٍ- أنْ يُغيِّرَ طَبقَتَهُ إنْ كانتْ رابِطةُ التَّجمُّعِ هِيَ الطبقةُ.. بَـلْ قدْ لا يَستَطِيعُ أنْ يُغيِّرَها أصْلاً، الأمْـرُ مَتْرُوكٌ للاقْتِناعِ الفَرْدِيِّ، والَّذِي يَملِكُهُ الفردُ بِذاتِهِ - بِدُونِ تَغْييرِ أصلِهِ، أوْ لونِهِ، أوْ لُغَتِهِ، أوْ طَبقَتِهِ - أنْ يَخْتارَهُ، وأنْ يَنْضمَّ إلى الصفِّ على أساسِهِ ))([[6]](#footnote-5))..

لِذَا فإنَّ (( الإسْلامَ لَمْ يَعتِبرِ الدَّمَ، أوِ التُّرابَ، أوِ التَّجَمُّعَ والاشتِراكَ فِي المَقْصدِ والعَمَلِ وأدَوَاتِهِ، أوِ العُرْفَ، أوِ المَرْكزَ الاجْتِماعيَّ وطِرازَ المعيشةِ أسَاسَاً فِي تَقْييمِ الإنْسانِ .. بَـلْ إنَّ الرَّابِطَ الأسَاسَ والمُقَدَّسَ بَيْنَ أفرادِ الإنْسانيةِ هُوَ العملُ.. وإنَّ الأُمُـورَ الخارِجةَ عَنْ ذلِكَ لا يَحْصَلُ بِها فضلٌ عِندَ اللهِ بِمُجرَّدِها ))([[7]](#footnote-6)).. وَعَلَيهِ فَـ((ـإنَّ اللهَ لا يُعْطِي أحَداً حَسَنةً واحِدةً عَلَى جَمَالِ وَجْهِهِ، أوْ نَضَارةِ خدِّهِ ، وَلا نَبَضَ قَلْبِهِ، أوْ عَمَلِ كَبدِهِ .. ولا يُعاقِبُهُ عَلَى صَلَعِ رأسِهِ، أوْ قِصَرِ قدِّهِ ، ولا ٱرتِفاع ضَغْطِهِ، أوْ تقرُّحِ مَعِدتِهِ؛ لأنَّها أُمورٌ جَبْريَّةٌ لا ٱخْتِيارَ لهُ فِيهَا ))([[8]](#footnote-7))..

إنَّ (( مِنْ شأنِ قِيامِ المُجتَمَعِ عَلَى آصِرةِ العقيدةِ [**وَهِيَ سببٌ شرعيٌّ**] وَعَدَمِ قيامِهِ عَلَى العَوامِلِ الاضْطِراريةِ الأُخرى [**وَهِي أسْباب قَدَرية**] أنْ يُنشئَ مُجتَمَعاً إنْسانياً عَالَمِيَّاً مَفْتُوحاً يَجِيءُ إليهِ الأفرادُ مِنْ شتَّى الأجْناسِ، والألْوانِ، واللُّغاتِ، والأقْوامِ، والدِّماءِ ، والأنْسابِ، والدِّيارِ، والأوْطانِ.. بِكُلِّ حُرِّيتِهِم وٱخْتيارِهِمُ الذَّاتيِّ، لا يَصُدُّهُم عَنهُ صادٌّ، ولا يَقُومُ فِي وُجُوهِهِم حاجِزٌ... فإنَّ النَّاسَ مَا كانُوا لِيَخْرُجوا مِنَ الجاهِليةِ الوَثَنيةِ حتَّى تَكُونَ العَقِيدةُ وَحدَها هِيَ قاعِدةُ تجمُّعِهِم .. وَمَا كَانَ الإسلامُ لِيُخلِّصَ النَّاسَ مِنَ الأصنامِ الحَجريَّةِ والأربابِ الأُسطوريَّةِ ثُمَّ يَرْضى لهُمْ - بَعْدَ ذلِكَ - أصْنامَ الجِنسيَّاتِ، والقَوْميَّاتِ، والأوْطانِ.. وَما إليها ))([[9]](#footnote-8))؛ لِهَذَا السَّبَبِ كَانَتِ (( العَقِيدةُ الَّتِي يَملِكُ كُلُّ فَرْدٍ ٱختيارَها هِيَ الآصِرةَ الَّتِي يَقُومُ عَلَيها التَّجَمُّعُ الإنْسانِيُّ فِي المُجتَمَعِ الإسْلاميُّ، وَالَّتِي يَتَقرَّرُ عَلَى أساسِها مَصِيرُ كُلِّ فَرْدٍ بِإرادَتِهِ الذَّاتِيةِ، وَيَنْفِي أنْ تَكُونَ العَوَامِلُ الاضْطِراريَّـةُ الَّتِي لا يَدَ لَهُ فِيهَا، ولا يَملِكُ - كَذلِكَ - تَغْييرَها بِٱخْتِيارِِهِِ هِيَ آصِرةَ التَّجَمُّعِ الَّتِي تُقرِّرُ مَصِيرَهُ ))([[10]](#footnote-9))..

لِهَذَا كُلِّهِ يُسمِّي سيِّد قطب «**الإِرادةَ القَدَريةَ**» بإِرَادةِ القَطِيعِ، وَ«**الإِرادةَ الشَّرعِيةَ**» بالإِرَادةِ الحُرَّةِ ([[11]](#footnote-10)) فِي مَعرِضِ كَلامِهِ المُفصَّلِ عَنْ كُلٍّ مِنَ الإرادتينِ.. إذْ يقولُ: (( إنَّ الإسْلامَ - وَهُوَ يَبْني الأُمةَ المُسلِمةَ عَلَى هذِهِ القاعِدَةِ وِفقَ هَذَا المَنْهَجِ، ويُقيمُ وُجُودَها عَلَى أسَاسِ التَّجمُّعِ العُضْويِّ الحَركِيِّ، وَيَجعلُ آصِرَةَ هَذَا التَّجمُّعِ هِيَ العَقيدةَ - إنَّما كَانَ يَسْتهدِفُ إِبْـرازَ «إِنْسانِيةَ الإِنْسانِ» وتَقْوِيتَها وتَمْكِينَها وإِعلاءَهَا عَلَى جَمِيعِ الجَوانِبِ الأُخْرَى فِي الكَائِنِ الإنْسانِيِّ.. وَكَانَ يَمْضِي فِي هَذَا عَلَى مَنْهجِهِ المُطَّردِ فِي كلِّ قواعِدِهِ وتَعلِيماتِهِ وَشَرَائِعِهِ وأحْكَامِهِ.. إنَّ الكائنَ الإنْسانيَّ يَشْترِكُ مَعَ الكائِناتِ الحَيْوانيةِ - بَـلْ الكائِناتِ المادِّيَّـةِ - فِي صِفَاتٍ تُوهِمُ أصْحابَ «الجَهَالةِ العِلْمِيَّةِ» مَرَّة بأنَّهُ حَيْوانٌ كَسَائِـِر الحَيْواناتِ، وَمَـرَّةً بِأنَّهُ مادَّةٌ كَسَائِرِ المَوَادِّ !! وَلَكِنَّ الإنْسانَ - مَعَ ٱشتراكِهِ فِي هذِهِ الصِّفاتِ مَعَ الحيوانِ، وَمَعَ المادَّةِ - لَهُ خصائِصُ تُميِّزه وتُفرِدُهُ وتَجعلُ منهُ كائِناً فَرِيداً- كَمَا ٱضْطُرَّ أصْحابُ «الجهالةِ العِلْمِيَّةِ» أخِيرَاً أنْ يَعتَرِفُوا- ... وَالحَقَائِقُ العِلْمِيَّةُ تَلْوِي أعْناقَهُم ليَّاً؛ فَيُضْطرُّونَ لِهذا الاعْتِرافِ فِي غَيْرِ إِخلاصٍ وَلا صَرَاحةٍ ))([[12]](#footnote-11))..

ويُضِيفُ قَائِلاً: (( وَالإسْـلامُ - بِمَنْهجِهِ الرَّبَّانيِّ - يَعْمَدُ إلَى هَذِهِ الخَصَائِصِ الَّتِي تُميِّزُ الإنْسانَ وتُفْرِدُهُ بَيْنَ الخَلائِقِ، فيُبرِزُها ويُنمِّيها ويُعلِيها.. وهُوَ حِينَ يَجعلُ آصِرةَ العَقِيدةِ هِيَ قاعِدةَ التجمُّعِ العُضْويِّ الحَرَكيِّ الَّتِي يُقيمُ - عَلَى أساسِها- وُجُودَ الأُمةِ المُسلِمةِ؛ إنَّما يَمضِي عَلَى خُطَّتِهِ تِلكَ.. فَالعَقِيدةُ تَتَعلَّقُ بأعلَى مَا فِي الإنْسانِ مِنْ خَصَائِصَ.. إنَّهُ لا يَجْعلُ هذِهِ الآصِرَةَ هِيَ النَّسَبَ، وَلا اللُّغة,َ وَلا الأَرضَ, وَلا الجِنْسَ, وَلا اللَّونَ, وَلا المَصَالِـحَ, وَلا المَصِيرَ الأَرْضِيَّ المُشَتَركَ؛ فَهذِهِ كلُّهَا أواصِرُ يَشْتركُ فِيهَا الحَيْوانُ مَعَ الإنْسانِ؛ وَهِيَ أشْبهُ شَيءٍٍ وأقربُ شَيءٍ إلَى أوَاصِرِ القَطِيعِ، وإلَى ٱهتِِمَامَاتِ القَطِيعِ، وإلَى الحَظِيرةِ والمَرْعَى والثُّغاءِ الَّذِي يَتَفاهَمُ بِهِ القَطِيعُ !! أمَّـا العَقِيدةُ الَّتِي تُفسِّرُ للإنْسانِ وُجودَهُ وَوُجُودَ هَذَا الكَوْنِ مِنْ حَولِهِ تَفْسيراً كُلياً، كَمَا تُفسِّرُ لهُ مَنْشأَ وُجُودِهِ ووُجُودِ الكَونِ مِنْ حَولِهِ، وتَرُدُّهُ إلَى كائِنٍ أعلَى مِنْ هذِهِ المادَّةِ ، وأكْبرَ وأسْبَقَ وَأبقَى.. فَهِيَ أمرٌ آخَرُ يَتَعلَّق بِرُوحِهِ وإدْراكِهِ المُميِّزِ لَهُ مِنْ سَائِرِ الخَلائِقِ، والذِّي يَتَفرَّدُ بِهِ عَنْ سَائِرِ الخَلائِقِ، والَّذِي يُقرِّرُ إنْسانِيَّتَهُ فِي أعلَى مَراتِبِهَا حَيْثُ يُخلِّفُ وَرَاءهُ سائِرَ الخلائِقِ ))([[13]](#footnote-12))..

(( ثُـمَّ أنَّ هذِهِ الآصِرَةَ - آصِرةَ العَقِيدةِ والفِكْرةِ والمَنْهجِ - هِيَ آصِرةٌ حُـرَّةٌ ؛ يَملكُ الفَرْدُ الإنْسانيُّ ٱخْتِيارَها بِِمَحْضِ إرادتِهِ الواعِيةِ.. فأمَّـا أواصِرُ القَطِيعِ تِلكَ فَهِيَ مَفْرُوضَةٌ عَلَيهِ فَرْضَاً، لَمْ يَختَرْها، وَلا حِيلَةَ لَهُ كَذلِكَ فِيهَا.. إنَّهُ لا يَملِكُ تَغْيِيرَ نَسَبِهِ الَّذِي نمَّاهُ ، وَلا تَغْيِيرَ الْجِنْسِ الَّذِي تَسَلْسَلَ مِنْهُ، وَلا تَغْيِيرَ اللَّونِ الَّذِي وُلِدَ بِهِ.. فَهَذِهِ كلُّها أُمُورٌ قَدْ تَقرَّرَتْ فِي حَياتِهِ قَبلَ أنْ يُولدَ؛ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيها ٱخْتِيارٌ, وَلا يَملِكُ فِيهَا حِيلةً.. كَذلِكَ مَولِدُهُ فِي أرْضٍ بِعَيْنِها، ونُطْقُهُ بِلُغةٍ بِعَينِها بِحُكمِ هَذَا المَولِدِ، وٱرتباطُهُ بِمَصَالحَ مَادِّيةٍ مُعيَّنةٍ، وَمَصِيرٍ أرْضِيٍّ مُعيَّنٍ - مَا دَامَتْ أوَاصِرُ تَجَمُّعِهِ مَـعَ غَيْرِهِ - كلُّها مَسَائِلَ عَسِيرةَ التَّغْيِيرِ, وَمَجَـالُ الإرادةِ الحُـرَّة فِيهَا مَحْدُوداً ؛ وَمِنْ أجْـلِ ذَلِكَ لا يَجْعلُها الإسْلامُ هِيَ آصِرَةَ التَّجَمُّعِ الإنْسَانِيِّ ))([[14]](#footnote-13))..

ويُضِيفُ قائِلاً: (( فأمَّـا العَقِيدةُ والتَّصَوُّرُ والفِكْرةُ والمَنْهجُ؛ فَهِيَ مَفْتُوحةٌ دائِماً للاخْتِيارِ الإنْسَانِيِّ، وَيَملِكُ فِي كُلِّ لَحْظةٍ أنْ يُعلِنَ فِيهَا ٱختيارَهُ ، وأنْ يُقرِّرَ التَّجَمُّعَ الَّذِي يُرِيدُ أنْ يَنْتَمِيَ إلَيهِ بِكَامِلِ حُريَّتِهِ؛ فَلا يُقيِّدُهُ - فِي هَذِهِ الحَالَةِ - قَيدٌ مِنْ لَونِهِ، أوْ لُغتِهِ، أوْ جِنْسِهِ، أوْ نَسَبِه، أوِ الأرضِ التِّي وُلِدَ فِيها، أوِ المَصَالِحِ المادِّيةِ التِّي تَتحوَّلُ بِتَحوُّل التجمُّع الَّذِي يُرِيدُهُ وَيَختارُهُ .. وَهُنا كَرَامةُ الإنْسانِ فِي التَصوُّرِ الإسلاميِّ))([[15]](#footnote-14)).. (( فَكَانَ مِنَ النَّتائِجِ الواقِعِيةِ البَاهِـرَةِ لِلمَنْهجِ الإسلاميِّ فِي هذِهِ القَضِيَّةِ... أنْ أصْبَحَ المُجتَمَعُ المُسلِمُ مُجتَمَعَاً مَفْتُوحاً لِجَمِيعِ الأجْناسِ والأقْـوامِ والألوانِ واللُّغاتِ بِلا عائِقٍ مِنْ هذِهِ العَوَائِقِ الحَيْوانيةِ السَّخِيفةِ... وَتَجمَّعتْ خَصَائِصُهُمْ كلُّها لِتَعْملَ مُتَمَازِجةً مُتَعَاوِنةً مُتَنَاسِقةً فِي بِنَاءِ المُجتَمَعِ الإسْلامِيِّ والحَضَارَةِ الإسْلامِيَّةِ.. وَلَمْ تَكُنْ هذِهِ الحَضَارَةُ الضَّخْمةُ يَوْماً «عَرَبِيَّةً».. إنَّمـا كَانَتْ دَائِماً «إسْلامِيةً».. وَلَمْ تَكُنْ يَوماً مَا «قَوْمِيَّةً».. إنَّما كَانَتْ دَائِماً «عَقِيدِيَّةً»...)([[16]](#footnote-15))..

وَيُضِيفُ مُنتَقِداً أصْحابَ «الجَهَالَةِ العِلْمِيَّةِ».. قائِلاً: (( وأعْجَبُ العَجَبِ أنْ يُسمَّى التَّجَمُّعُ عَلَى خَصَائِصِ الإنْسَـانِ العُليَا تَعَصُّباً وَجُمُوداً وَرَجْعِيَّةً, وأنْ يُسمَّى التَّجمُّعُ عَلَى مِثْـلِ خَصَائِصِ الحَيْوانِ تَقَدُّماً وَرُقيَّـاً وَنَهْضَةً !! وأنْ تُقلَبَ مَوَازِينُ القِيَمِ والاعتِبَارَاتِ كلُّهَا؛ لا لِشَيءٍ إلاَّ الهُرُوب مِنَ التَّجَمُّعِ عَلَى أسَاسِ العَقِيدَةِ ، خِصِّيصَةِ الإنْسانِ العُليا.. وَلكِنَّ اللهَ غَالِبٌ عَلَى أمْرِهِ ، وَهذِهِ الانْتِكَاساتُ الحَيْوانِيَّةُ الجاهِلِيَّةُ فِي حَياةِ البَشَرِيَّةِ لَـنْ يُكْتَبَ لَهَا البَقَاءُ ، وَسَيَكُونُ مَا يُرِيدُهُ اللهُ حَتْماً.. وَسَتُحاوِلُ البَشَرِيَّةُ ذَاتَ يَوْمٍ أنْ تُقِيمَ تَجَمُّعاتِها عَلَى القَاعِدَةِ الَّتِي كَرَّمَ اللهُ الإنْسانَ بِها، والَّتِي تَجَمَّعَ عَلَيها المُجتَمَعُ المُسلِمُ الأولُ؛ فَكَانَ لَهُ تَفَرُّدُهُ التَّارِيخِيُّ الفائِقُ.. وَسَتَبقَى صُورةُ هَذا المُجتَمَعِ تلُوحُ فِي الأُفقِ، تتطلَّعُ إلَيْها البَشَرِيةُ وَهِيَ تُحاوِلُ مَرَّةً أُخْرَى أنْ تَرقَى فِي الطَّرِيقِ الصَّاعِدِ إلَى ذَلِك المُرتَقَى السَّامِي الَّذِي بَلَغتْ إليهِ فِي يَوْمٍ مِنَ الأيام ..))([[17]](#footnote-16)).. (( إنَّ الوَشِيجةَ الَّتِي يَتَجَمَّعُ عَلَيها النَّاسُ فِي هَذَا الدِّيـنِ وَشِيجةٌ فَـرِيدةٌ تَتَميَّزُ بِها طَبِيعةُ هَذَا الدِّينِ، وتتعلَّقُ بآفاقٍ وآمادٍ وأبْعادٍ وأهْدافَ يَختَصُّ بِها ذَلِكَ المَنْهجُ الرَّبَّـانِيُّ الكَرِيمُ.. إنَّ هذِهِ الوَشِيجةَ لَيْستْ وَشِيجةَ الدَّمِ والنَّسَبِ، وَلَيستْ وَشِيجةَ الأرْضِ والوَطَنِ، وَلَيستْ وَشِيجةَ القَوْمِ والعَشِيرةِ، وَلَيستْ وَشِيجةَ اللَّونِ واللُّغةِ، وَلَيستْ وَشِيجةَ العُنْصُرِ، وَلَيستْ وَشِيجةَ الحِرفةِ والطَّبَقةِ... إنَّ هذِهِ الوشائِـجَ جَمِيعَها قَدْ تُوجدُ ثُمَّ تَنْقَطِعُ العَلاقةُ بَيْنَ الفَرْدِ والفَرْدِ .. وَهذا هُوَ المَعْلمُ الواضِحُ البارِزُ عَلَى مَفْرقِ الطَّرِيـقِ بَيْنَ نَظْرةِ هَذَا الدِّينِ إلَى الوَشَائِـجِ والرَّوابِطِ، وَبَينَ نَظَراتِ الجاهِلِيَّةِ المُتفرِّقةِ.. إنَّ الجاهِلِيَّاتِ تَجْعلُ الرَّابطةَ آنَـاً هِيَ الدَّمَ والنَّسَبَ، وآنَـاً هِيَ الأرضَ والوَطَنَ، وآنَـاً هِيَ القَوْمَ والعَشِيرةَ ، وآنَـاً هِيَ اللَّونَ واللُّغةَ، وآنَـاً هِيَ الجِنْسَ والعُنْصُرَ، وآنَـاً هِيَ الحِرفةَ والطَّبَقَةَ !! تَجْعلُها آناً هِيَ المَصالِحَ المُشتَرَكَةَ، أوِ التاريخَ المُشتَرَكَ.. وكلُّهَا تَصَوُّراتٌ جاهِلِيَّةٌ - عَلَى تَفَرُّقِها أوْ تجمُّعِها- تُخالِفُ مُخالَفةً أصِيلةً عَمِيقةً عَنْ أصلِ التَّصَوُّرِ الإسْلامِيِّ !! ))([[18]](#footnote-17))..

(( والمَنْهجُ الرَّبانيُّ القَوِيمُ - مُمَثَّلاً فِي هَذَا القُرآنِ الَّذِي يَهْدِي لِلتِّي هِيَ أقْومُ، وَفِي تَوْجِيهَاتِ الرَّسُولِ »، وَهِيَ مِنْ هذا القُرآنِ وَعَلَى نَسَقِهِ - قَدْ أخذَ الأُمةَ المُسلِمةَ بالتَّربِيَةِ عَلَى ذَلِكَ الأصلِ الكَبِيرِ، والمَعْلمِ الواضحِ البارِزِ فِي مَفْرقِ الطَّريقِ... والذِّينَ يدَّعُونَ صِفةَ الإسلامَ، ثُمَّ يُقِيمُونَ مُجتَمَعَاتِهِمْ عَلَى قَاعِدَةٍ أوْ أكثرَ مِنْ تلكَ العلاقاتِ الجاهِلِيَّةِ الَّتِي أحَـلَّ الإسْلامُ مَحَلَّها قاعِدَةَ العَقِيدَةِ .. إمَّـا أنَّهُمْ لا يَعْرِفُونَ الإسْلامَ، وإمَّـا أنَّهُمْ يَرفُضُونَهُ !! والإِسْلامُ - في كِلْتا الحالَتينِ- لا يَعْترِفُ لَهُمْ بِتلكَ الصِّفةِ الَّتِي يدَّعُونَها لأنفُسِهِمْ وهُمْ لا يُطبِّقونَها، بَـلْ يَختالُونَ غَيْرَها مِنْ مُقوِّماتِ الجاهِليةِ فِعْلاً !!

إنَّ العقيدةَ تُمثِّـلُ أعلَى خَصَائِصِ الإنْسان الَّتِي تُفرِّقُـهُ مِنْ عالَمِ البَهِيميةِِ؛ لأنَّها تَتَعلَّـقُ بِالعُنْصرِ الزَّائِدِ فِي تَرْكِيبِهِ وَكَيْنونتِهِ عَنْ تركيبِ البَهِيمَةِ وَكينونَتِهَا، وهُوَ العُنْصُرُ الرُّوحِيُّ الَّذِي بِهِ صَارَ هَذَا المَخلُوقُ إنْساناً فِي هذِهِ الصُّورَةِ ... كذلِكَ تتعلَّقُ العَقِيدةُ بِعُنْصُرٍ آخَرَ يَتَميَّزُ بِهِ الإنْسانُ عَنِ البَهَائِمِ.. وَهُوَ عُنْصُرُ **«الاختيارِ والإِرادةِ»** ))([[19]](#footnote-18))..

المبحث الأول/

الاتصال والانقطاع في الأنساب والصلات

وفق ميزان العمل

سَنَتَعـرَّفُ سَوِيَّةً فِي هَذَا المَبْحثِ بإذنِ اللهِ  على واحِدٍ مِنَ المفاهيمِ والأُسُـسِ المُهمَّـةِ والضَّروريةِ الَّتِي ينْبَنِي عليها تَحقيقُ مَفْهومِ الأهليَّةِ والرُّجوعِ للهِ وَرَسُولِهِ ودينِهِ.. ذلكَ هُوَ «**مِيزانُ العَمَلِ والسَّعْيِ**».. لِنَعْرِفَ مَدَى عَلاقتِهِ بِهَذَينِ المَفهُومينِ «**الأهْلِ والآلِ**» .. ذلكَ كلُّه مِنْ خِلالِ رُؤيةٍ قُرآنيةٍ مُتمعِّنةٍ ..

قَـالَ : وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي...  قَالَ يَا نُوحُ إِنَّــهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ...([[20]](#footnote-19))..

(( إنَّ الحَقَّ  لَمْ يقُـلْ: «إنَّهُ عامِلٌ غَيْرُ صَالِحٍ».. الذَّاتِيَّةُ مَمْنُوعةٌ؛ لأنَّ الفِعلَ هُوَ الَّذِي يُحاسِبُ بِهِ اللهُ ، فَالإيمـانُ لَيْسَ نَسَباً، وَلا ٱنْتِماءً لِبَلَدٍ مَا، أوِ ٱنْتِماءً لِقَوْمٍ مَا.. إنَّهُ العَمَلُ؛ فَمَنْ يَعْملْ بِشَرعِ أيِّ رَسُـولٍ يَكُونُ مِنْ «**أهْـلِ**» ذَلِكَ الرَّسُولِ.. إنَّ النِّسبةَ للأنْبِياءِ لا تأتِي لِلذَّاتِ الَّتِي تَنْحَدِرُ مِنْ نَسَبِ النَّبِيِّ؛ بَـلْ يَكُونُ الانْتِسابُ للأنْبِياءِ بِالعَملِ الَّذِي تَصنَعُهُ الذَّاتُ ))([[21]](#footnote-20)).. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (( جَعَلَهُ نَفْسَ العَمَلِ؛ وَذَلِكَ لأنَّ الجَوَاهِرَ مُتَسَاوِيةُ الأقْدَامِ فِي نَفْسِ الوُجُودِ لا تَشْرُفُ إلاَّ بِآثَـارِهَا.. فَبَيَّنَ أنَّهُ لَيْسَ فِيهِ اَثَـرٌ صَالِحٌ أصْلاً !! ))([[22]](#footnote-21)).. (( وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أنَّ العِبْرَةَ بِقَرَابَةِ الدِّينِ، لا بِقَرَابَةِ النَّسَبِ.. وَأنَّ حُكْمَ اللهِ فِي خَلْقِهِ قَائِمٌ عَلَى السَّوَاءِ وَالعَدْلِ المُطْلَقِ دُونَ مُحَابَاةٍ لأحَدٍ !! ))([[23]](#footnote-22))..

(( إنَّ الدِّينَ هُوَ الرَّابِطةُ الوَحِيدةُ الَّتِي تَتَقطَّعُ دُونَها جَمِيعُ الرَّوابِطِ ، فَلا يُقَدَّمُ عَلَى رَابِطَةِ الدِّينِ عَصَبِيَّةٌ، أوْ قَوْمِيَّةٌ، أوْ حِزْبِيَّةٌ، أوْ شَخْصِِيَّةٌ ... كُـلُّ هذِهِ الأمُورِ جاهِلِيَّاتٌ؛ ولِذَلِكَ لَمْ يَتَوانَ إبْـرَاهِيمُ  فِي إظْهَارِ العَدَاوَةِ لِقَوْمِهِ، ولَمْ يَتَردَّدْ فِي ذَلِكَ طَرفَةَ عَيْنٍ ))([[24]](#footnote-23)).. وَفِي هَذَا تَرْبِيةٌ مِنَ القُرآن لِلأُمَّةِ (( أنَّهُ لا مَجَالَ فِي العَقِيدَةِ لِوَالِدٍ ، وَلا لِقَوْمٍ، وأنَّ الرَّابِطةَ الأُولَى هِيَ رَابِطةُ العَقِيدَةِ ، وأَنَّ القِيمَةَ الأُولَى هِيَ قِيمَةُ الإيمانِ، وأنَّ مَا عَدَاهُ تَبَعٌ لَهُ يَكُونُ حَيْثُ يَكُونُ ))([[25]](#footnote-24))..

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي «كَشَّافِهِ» فِي تَفْسِيرِهِ لِلآيةِ: (( إنَّ نِدَاءَكَ هَذَا عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ... وإنَّهُ إنَّمَا نَجَى مَنْ نَجَى مِنْ «**أهْلِكَ»** لِصَلاحِهِمْ، لا لأنَّهُمْ «**أهْلُكَ**» وَأقاربُكَ.. وَإنَّ هَذَا لمَّا ٱنْتَفَى عَنْهُ الصَّلاحُ؛ لَمْ تَنْفَعْهُ أُبُوَّتُكَ.. وَهُوَ كَقَولِهِ : ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ([[26]](#footnote-25)) ))([[27]](#footnote-26)).. وَقَالَ النَّسَفيُّ فِي تَفْسِيرِها: (( وَفِيهِ إيذانٌ بِـأنَّ قرابةَ الدِّينِ سَابِقةٌ لِقَرَابةِ النَّسَبِ.. وَأنَّ نَسِيبَكَ فِي دِينِكَ، وإنْ كانَ حَبَشِيَّاً، وَكُنْتَ قُرَشِيَّاً.. وَمَـنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِكَ - وإنْ كَانَ أمسَّ أقارِبِكَ رَحِماً - فَهُو أبعدُ بعيدٍ منك ))([[28]](#footnote-27)).. وَيَتَّضِحُ هَذَا المَعنَى جَلِياً مِنْ خِلالِ قَولِ النَّبِيِّ »: (( سَلْمَـانُ مِنَّا «**أهْـلَ البَيْتِ**» أرَادَ »: عَلَى دينِنِا ))([[29]](#footnote-28))..

وَقَالَ الشَّوكانِيُّ: (( قالَ: يَـا نُوحُ، إنَّهُ لَيْسَ مِنْ «**أهْـلِكَ**» الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ وتابَعُوكَ، وإنْ كَانَ مِنْ «**أهْـلِكَ**» بٱعتِِبَارِ القَرَابَةِ [إذْ (( أنَّ الظَّالِمِين لَيْسُوا مِنَ **«الأهْـلِ»** بِالنِّسبَةِ لِلدِّينِ؛ لأنَّ الدِّينَ يربِطُ البَعِيدِينَ.. وَالظُّلْمُ - الَّذِي هُوَ بِمَعنَى الكُفْر - يُفَرِّقُ القَرِيبِينَ !! ))([[30]](#footnote-29))]([[31]](#footnote-30)).. ثُـمَّ صرَّحَ بِالعِلَّةِ المُوجِبَةِ لِخُرُوجِهِ مِنْ عُمومِ «**الأَهْـلِ**»، المُبيِّنةِ لَهُ بأنَّ المُرادَ بِالقَرَابةِ: الدِّينُ، لا قَرَابةَ النَّسَبِ وَحدَهُ ؛ فَقَالَ:  إِنَّــهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ([[32]](#footnote-31)) ))([[33]](#footnote-32))؛ لِذَا فَـ(( سُـؤَالُكَ إِيَّـايَ بِنَجَاتِهِ عَمَلٌ غيرُ صالِـحٍ؛ فإنَّهُ كافِرٌ، ولا نَجاةَ لِلكافِرِِينَ ))([[34]](#footnote-33)).. (( وقِيلَ مَعْنَـاهُ: إنَّ ٱبْنكَ ذُو عَمَلٍ غَيرِ صالِـحٍ ))([[35]](#footnote-34)).. وَقَالَ الآلُوسِيُّ: (( قَالَ: يَـا نُوحُ، إنَّهُ لَيْسَ مِنْ «**أهْـلِكَ**»، أيْ: لَيْسَ مِنْهُمْ أصْلاً؛ لأنَّ مَدَارَ «**الأهْـلِيَّةِ**» هُوَ القَرَابةُ الدِّينِيَّـةُ؛ وَقَدِ ٱنْقَطَعَتْ بِالكُفْرِ، فَلا عَلاقَـةَ بَيْنَ مُسلِمٍ وَكَافِرٍ؛ وَلِذا لَمْ يَتَوارَثَا.. وَقَدْ ذَكَـرُوا أنَّ قَرَابَـةَ الدِّينِ أقْرَبُ مِنْ قَرَابَـةِ النَّسَبِ ))([[36]](#footnote-35))..

وَقالَ محمَّد حسين فضلُ اللهِ : ((  قَالَ يَا نُوحُ إِنَّــهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ([[37]](#footnote-36)) الَّذِينَ أَمَرتُكَ بِحَملِهِمْ مَعَكَ وتَعهَّدتُ لَكَ بإنْقاذِهِمْ مَعكَ؛ إِنَّــهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ([[38]](#footnote-37)).. أمَّـا «**أهْـلُكَ**» فَهُمُ الصَّالِحُونَ السَّائِـرُونَ عَلَى طَرِيقِكَ؛ لأنَّهُمْ هُمُ ٱلذِّينَ يَرِثُونَ الأرْضَ لِيُصلِحُوهَا.. أمَّـا غَيْرُ الصَّالِحِينَ فَهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ إصْلاحِ أنفُسِهِمْ، ولا فَرقَ بَينَهُم وبَيْنَ الآخَرينَ مِنَ الكافِرِينَ، ولا يُمكِنُ أنْ تطْلُبَ مِنِّي أنْ أُقَـرِّبهم إلَيَّ لِقُربِهِمْ مِنكَ فِي الوَقْتِ الَّذِي لا فَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ عِبَادِي جَمِيعاً؛ لأنَّهُمْ يَتَسَاوَوْن أمَامِي فِي الخَلْق، فأقْـرَبُهُمْ إلَيَّ أقربُهُمْ إلَى خَطِّ الرِّسَالاتِ، وأبعدُهُم عَنِّي أبْعَدُهُمْ عَنْهُ..

إنَّ ٱلتِحاقَ الأبْناءِ بِآبائِهِم الصَّالِحِينَ مُتَعلِّقٌ بـ«**الإيِمانِ**» و«**الاتِّباعِ**».. بِمَعنَى أنَّ الأبْناءَ إذا لَمْ يتَّصِفُوا بِـ«الإيمانِ» فإنَّهُم لا يَلحقُونَ بِمَنْزِلةِ الآبَـاءِ ؛ وَفِي ذلِكَ يَقُولُ :  وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَئٍ ([[39]](#footnote-38))، (( وَهَكَذا فإنَّ الإسْلامَ لا يَرَى وَسِيلةً إلَى الجنَّةِ سِوَى العَمَلِ الصَّالِحِ ؛ فَلا يَتِمُّ ٱلتِحاقُ الذُّرِّيَّةِ بِمُجرَّدِ الانْتِسابِ، بَـلْ بِالاتِّباعِ الوَاعِي «بِإيمانٍ» لِمَسِيرةِ الجِيلِ المُتقدِّمِ .. أمَّـا مُجرَّدُ الانْتِماءِ النَسَبيِّ، أوْ حتَّى الاتِّباعُ الأعْمَى لا يُغْنِي شَيئاً حَسَبَ مَنْهجِ القُرآنِ ))([[40]](#footnote-39)).. وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ فَإنَّ (( البُنوَّةَ بِالنِّسْبةِ لِلأنْبِيـاءِ هِيَ بُنُوةُ ٱتِّباعٍ وَعملٍ، لا بُنُـوةَ نَسَبٍ وَذَاتٍ ؛ بِدَليلِ أنَّ الحَقَّ  نَفَاها عَنِ ٱبنِ نُوحٍ.. فالذَّاتُ مَنْكورةٌ ، والمَذْكورُ هُوَ العَمَلُ ))([[41]](#footnote-40))..

وَهكَذا يَنْطلِقُ الرَّسُولُ لِيَتَحوَّلَ إلَى إنْسانٍ رِسَالِيٍّ لا تَرْبِطُهُ العاطِفةُ النَّسَبِيةُ بالنَّاس، بَـلْ تَربِطُهُ العَلاقةُ الرِّساليةُ بِهِم، فَهُم «**أهْـلُه**» وَقَومُهُ وَحِزبُهُ... ))([[42]](#footnote-41)) ؛ لِذا فَـ((ـإنَّهُ لَيْسَ مِنْ «**أهْـلِكَ**» بِسَبَبِ عَمَلِهِ غَيْرِ الصَّالِحِ، فإنَّ «**أهْـلَ**» الأنبِياءِ لَيْسُوا «**أهْـلَ**» لَحْمٍ وَدَمٍ، إنَّما هُمُ المُتَّقُونَ الصَّالِحُونَ مِنْ «**أهْـلِ**» العَقِيدَةِ والإيمانِ وإنْ بَعُدَ نَسَبُهُمْ مِنْهُمْ، وإنَّ أعداءَهُمْ هُمُ ٱلعاصُونَ، وإنْ قَرُبتْ قرابتُهُمْ مِنْهُم ))([[43]](#footnote-42)).. وَبِالنَّتِيجَةِ، فَـ((ـإنَّ الحَقَّ  يُعلِّمُنَا قَوَاعِدَ إرْثِ النُّبُوَّةِ .. إنَّ تِلْكَ القَوَاعِدَ تَقْضِي أنْ يَـرِثَ الأنْبِيَاءَ مَنْ هُـوَ قَادِرٌ عَلَى تَطْبِيقِ المَنْهَجِ بِتَمَامِهِ مِنْ دُونِ تَحْرِيفٍ.. فَلَيْسَ هَذَا الإرثُ بِالدَّمِ ؛ وَإنَّمَا بِتَطْبِيقِ المَنْهَجِ نَصَّاً وَرُوحَـاً )) ([[44]](#footnote-43))..

وَفِي ذَاتِ الصَّدَدِ كَانَتْ دَعْوةُ نُوحٍ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ([[45]](#footnote-44)).. حَيْثُ أنَّ مُؤْمِناً فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ (( أيْ: مُصَدِّقَاً بِالله ؛ فَـمُؤْمِناً: حَالٌ.. وَكَانَ إنَّمَا يَدْخُلُ بُيُوتَ الأنْبِيَاءِ مَنْ آمَنَ بِهِمْ.. وَالبَيْتُ كِنَايَةٌ عَنِ الدِّينِ ))([[46]](#footnote-45)).. قَالَ الآلُوسيُّ: (( المُرادُ مِنَ البَيْتِ: بَيْتُ النَّسَبِ، لا بَيْتَ الطِّينِ والخَشَبِ ))([[47]](#footnote-46)).. وبِعِبارةٍ أدقَّ فإنَّ البَيْتَ هُنَـا بَيْتُ السَّبَبِ والاتِّبـاعِ والطَّاعَـةِ؛ وَهُوَ (( كِنَايَـةٌ عَنِ الدُّخُولِ فِي الدِّينِ والنُّصْرةِ والخَطِّ والمَسِيرةِ ))([[48]](#footnote-47))؛ ذلكَ أنَّ الرَّابِطةَ الوَحِيدةَ الَّتِي تُدخِلُ الإنْسانَ فِي دَائِـرَةِ «**الأهْـلِ**» وَتَحْتَ ظِلِّ خَيْمتِهِم هِيَ رَابِطةُ «**الإيْمانِ**» و«**العَمَلِ الصَّالِحِ**».. وَيُؤكِّدُ هَذَا المَفْهُومَ قولُهُ :  إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبيّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ([[49]](#footnote-48)).. (( إنَّ الإيمَانَ الصَّحِيحَ بِشَيءٍ هُوَ الَّذِي يَدْعُو إلَى الانْسِجَامِ التَّامِّ مَعَ مُقْتَضَيَاتِ ذَلِكَ الإيمَانِ ))([[50]](#footnote-49)).. يَقُولُ مُحمَّد مُتَولِّي الشَّعْرَاويُّ: (( إنَّ «**أهْـلَ**» كُلِّ نَبِيٍّ هُمْ أتباعُ مَنْهَجِهِ الَّذِينَ يأْخُذُونَ عَنْهُ القِيَمَ الَّتِي ٱصْطَفاهُ اللهُ  بِها، وَلَيْسُوا هُمُ ٱلَّذِيـنَ يأْخُذُونَ مِنْهُ الجِنْسَ، والدَّمَ، واللَّونَ..))([[51]](#footnote-50)).. (( وَلا يَخْفَى أنَّ أشدَّ النَّاسِ ٱتِّباعَـاً لَهُ  هُوَ نَبِيُّنَـا aٌ » والمُؤمِنُونَ...

وَبِذلِكَ يَدْخُلُ المُؤمِنُـونَ بِـ«aٍ» » فِي ولايةِ إبْراهِيمَ  إلَى يَوْمِ القِيامَةِ عَلَى ٱخْتِلافِ مَكَانِهِم وَزَمَانِهِم ))([[52]](#footnote-51))، (( فَالَّذِيـنَ ٱتَّبَعُوا إبْراهِيمَ ، وَسَارُوا عَلَى مَنْهَجِهِ هُمْ أولِياؤُهُ ، وهُمْ حِزبُهُ الَّذِينَ يَنْتمُونَ إلَيهِ وَيَستَظِلَُّونَ بِرَايتِهِ وَيَتولَّونَهُ، وَهُمْ أُسْرةٌ واحِدةٌ ، وأُمَّةٌ واحِدةٌ مِنْ وَرَاءِ الأجْيالِ والقُـرُونِ، وَمِنْ وَرَاءِ المَكَانِ وَالأوْطَانِ، وَمِنْ وَرَاءِ القَوْمِيَّاتِ وَالأجْنَـاسِ، وَمِنْ وَرَاءِ الآرُومَاتِ والبُيوتِ ))([[53]](#footnote-52))؛ وَلِذَلِكَ قَـالَ نَبِيُّنا » فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أنَسُ بنُ مالِكٍ : (( وَدَدْتُ أنِّي لَقِيتُ إخْوانِي، قَالَ [أي: أنَس ]: فَقالَ أصْحابُ النَّبِيِّ »: أوَلَيْسَ نَحْنُ إخْوانُـكَ ؟! قالَ: أنْتُمْ أصْحابِي، وَلَكِنَّ إخْوانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَونِي ))([[54]](#footnote-53))..

لِذَا فَـإنَّ (( الارتِباطَ بِالأنْبِيـاءِ والوَلاءَ لَهُم إنَّما يَكُونُ عَنْ طَرِيقِ الإيْمانِ بِهِم وٱتِّباعِهِمْ فَقَطْ .. وَبِناءً عَلَى ذَلِكَ فَإنَّ أقْرَبَ النَّاسِ لإبْراهِيمَ هُمُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَدْرَسَتَهُ، وَيَلْتَزِمُونَ أهْدافَهُ ))([[55]](#footnote-54))؛ (( ذَلِكَ أنَّ الإتِّبـاعَ يُحدِّدُ العَلاقَةَ.. ثُـمَّ يَطْرَحُ اللهُ  عَلاقةَ إبْراهِيمَ بِالنَّاسِ، وعَلاقةَ النَّاسِ بِهِ؛ فَلَيْسَتِ العَلاقةُ بِأصْحَابِ الرِّسَـالاتِ عَلاقةَ نَسَبٍ تَمْنَحُ الآخَرِينَ أَولَوِيةً بِهِ، وتُعْطِيهِمُ ٱمتِيـازاً عَلَى بَقِيَّةِ النَّاسِ فِي رَابِطةِ القُرْبَى بِهِ؛ لأنَّ هَؤُلاءِ العُظَماءَ يَفْقِدُونَ خُصُوصِيَّاتِهِم بٱندِماجِهِم بِالقَضَايَا العَامَّةِ، فَتَتَحوَّلُ عَلاقتُهُمْ بِالآخَـرِينَ إلَى عَلاقةِ رِسَـالةٍ وَفِكْرٍ وَعَمَلٍ، وَيَتَحوَّلُ الانْتِماءُ إلَيْهِم إلَى الانْتِماءِ لِمَا يُمثِّلونَهُ مِنْ رِسَالةِ الفِكْرِ وَالعَمَلِ ))([[56]](#footnote-55)).. (( فَلَيْسَ الانْتِمَـاءُ إلَى إبْراهِيمَ  بِالنَّسَبِ، أوْ بِالكلامِ، بَـلْ بالاتِّبَـاعِ الصَّادِقِ ))([[57]](#footnote-56)).. وَمِنْ ذَلِكَ المَعنَى السَّامِي أيضاً قَولُ النَّبِيِّ »: (( إنَّ «**آلَ**» أبِي لَيْسُوا بِأولِيائِي؛ إنَّما وَلِيِّيَ اللهُ ، وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ ))([[58]](#footnote-57)).. وَمِنْهُ أيْضـاً أَخَذَ عَلِيٌّ  قَولَهُ: (( إنَّ وَلِيَّ aٍ مَنْ أَطاعَ اللهَ وَإنْ بَعُدتْ لحْمَتُهُ، وَإنَّ عَدُوَّ aٍ مَنْ عَصَى اللهََ وإنْ قَرُبَتْ قَرَابتُهُ ))([[59]](#footnote-58))؛ (( وَلا شَيءَ أدلَّ عَلَى عَظَمةِ الإمَامِ وإِخْلاصِهِ للهِ  ولِلحقِّ، وَتَجرُّدِهِ عَنِ الغَاياتِ والأَهْدَافِ الدُّنْيَوِيَّـةِ مِنْ قَولِهِ هَذَا، وَعَدمِ تَشَبُّثِهِ بِالقَرابَةِ .. مَعَ أنَّهُ أقْربُ النَّاسِ لحْمةً لِلرَّسُـولِ »؛ وَمَا ذَلِكَ إلاَّ لأنَّهُ يَستَمِدُّ عَظَمَتَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَأعْمَالِهِ، لا مِنَ الآرُومَاتِ والقَرَابَاتِ، وَلا مِنَ التَّمْويهِ والتَّغْطِياتِ ))([[60]](#footnote-59)).. ورُوِيَ عَنْ أبِي جَعفَرَ أيْضاً أنَّهُ قَالَ: (( مَنْ كَانَ للهِ مُطِيعاً؛ فَهُـوَ لَنَا وَلِيٌّ، وَمَنْ كَانَ للهِ عَاصِياً؛ فَهُوَ لَنَا عَدُوٌّ.. وَمَـا تُنالُ وَلايتُنا إلاَّ بِالعَمَلِ والوَرَعِ .. وَمَا يَكْفِي مَنْ يقولُ بِحُبِّنا أنْ يَنْطِقَ بِلِسَانِهِ؛ فَوَاللهِ مَا أحبابُنَا إلاَّ مَنِ ٱتَّقى اللهَ وأطاعَهُ ))([[61]](#footnote-60)).. وَمِنْهُ أيْضاً قَولُ الشَّاعِـرِ :-

كَانـَتْ مَـوَدةُ سلْمانَ لَهُـمْ رَحِمـاً وَلَـْم تَكُنْ بَيْـَن نُـوحٍ وٱبنِـهِ رَحِـمُ([[62]](#footnote-61))

لَـقَدْ أجَابَ اللهُ  نَبِيَّه نُوحَاً - عِنْدَما سألَهُ ما لَيْسَ لَهُ بِهِ علمٌ.. ذَلِكَ السُّؤالُ هُوَ نَجاةُ ٱبنِهِ مَـعَ النَّاجِينَ مِنْ «**أهْـلِهِ**» - أجَابَهُ جَواباً يَهِزُّ هَـزَّاً، كَمَا إنَّهُ يَكْشِفُ وَاقِعاً خَطِيراً.. وَاقِعاً يَـرَى الرِّباطَ الدِّينيَّ أكْبَرَ مِنْ رِبَاطِ النَّسَبِ والقَرَابَةِ.. وٱبْـنُ نُوحٍ فَردٌ غَيْرُ لائِـقٍ لأنْ يَكُونَ «**أهْـلاً**» لِتَقِيٍّ صَالِحِ، فَضْلاً عَنْ كونِهِ مِنْ «**أهْـلِ**» نَبِيٍّ مُقَرَّبٍ؛ ذَلِكَ أنَّهُ ٱنفَصَلَ عنهُ بِعَمَلِهِ، وإنْ كَانَ الرِّباطُ النَّسَبِيُّ لا يَـزَالُ قائِماً، إذْ لا أثَـرَ لِرِباطِ القَرَابةِ بَعْدَ أنْ قُطِعَ رِبَـاطُ الدِّينِ... فَالعلائِـقُ المادِّيةُ: النَّسَبُ، القَرَابةُ، الصَّداقةُ، المُرافَقَةُ.. هِيَ دائماً في المَذَاهِبِ السَّماوِيَّـةِ تُنظَرُ مِنْ حَيْثُ العَلائِـقِ المَعْنويةِ.. وَفِي المَذهَبِ السَّماويِّ لا مَفْهومَ لقُرَّةِ العَينِ والقَرَابةِ إزاءَ الرَّابِطةِ المَذْهَبِيَّـةِ، ولا ٱمتِيازَ لهُما، وخَيرُ مِثالٍ على ذلِكَ وأَجْلاهُ : سلْمانُ الفارِسِيُّ  الَّذِي كَانَ مُنزوِياً عَنِ النَّاسِ، فَلا هُوَ مِنْ «**أهْـلِ بَيْتِ**» النَّبِيِّ »، وَلا هُوَ مِنْ قُريشٍ، وَلا هُوَ مِنْ أهْـلِ مكَّةَ، بَـلْ لَمْ يَكُنْ أسَاسَاً مِنَ العَرَبِ.. ولكنَّهُ - طِبقاً لِمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الشَّريفِ - (( سَلْمانُ مِنَّا «**أهْـلِ البَيْتِ**» ))([[63]](#footnote-62)) كَانَ يُعَدُّ مِنْ أُسْرةِ النَّبِيِّ ».. فِي حِينِ أنَّ ٱلابنَ الواقِعِيَّ والمُباشِرَ لِلنَّبيِّ - كٱبنِ نُوحٍ  - يُطرَدُ عَلَى أثَـرِ قَطْعِ عَلاقتِهِ الدِّينية، ويُقالُ لأبيهِ نُوحٍ بِشأنِهِ:  إِنــَّـهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ([[64]](#footnote-63)) !! وَنُـوحٌ هُو نُوحٌ.. أحَدُ رُسُـلِ اللهِ المُقرَّبِينَ، بَـلْ هُو أحَدُ الخَمْسةِ أُولِي العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ !! يعِظُهُ ربُّهُ لِئلاَّ يَكُونَ مِنَ الجاهِلِينَ بِسُؤالِهِ ذلِكَ !!!

(( إنَّ العَقِيدةَ تُـرَاثُ القلْبِ المُؤمِنِ، لا تُراثَ العَصَبِيَّةِ العَمْياءِ ، وإنَّ وِراثةَ هَذَا التُّراثِ لا تَقُومُ عَلَى قَرَابةِ الدَّمِ والجِنْسِ؛ وَلكِنْ عَلَى قَرَابةِ الإِيمانِ والعَقِيدَةِ .. فَمَنْ آمَنَ بِهذِهِ العَقِيدةِ وَرَعاها فِي أيِّ جِيلٍ مِنَ الأجيالِ، وَمِنْ أيِّ قَبِيلٍ فَهُوَ أحَـقُّ بِها مِنْ أبْناءِ الصُّلبِ وأقرِباءِ العَصَبِ!! فالدِّينُ دِينُ الله، وَلَيسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أحدٍ مِنْ عِبادِهِ نَسَبٌ وَلا صِهْرٌ ))([[65]](#footnote-64)).. وَلَيستِ ٱمرأتا نُوحٍ وَلُوطٍ  مِنَّا بِبعيدٍ ؛ فقدْ ضَرَبَهُما اللهُ  فِي كِتابِهِ العزيزِ (( مَثَلاً لِلكافِرينَ الَّذِينَ يُخالِطُونَ المُسلِمِينَ ويُعاشِـرُونَهُم؛ بياناً منهُ  أنَّ تِلْكَ العِشْرةَ والخُلْطةَ لا تُجْدِي الكافِرينَ نَفْعاً عِندَ اللهِ  مَا لَمْ يُصاحِبْهُما إيمانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ ))([[66]](#footnote-65))..

فَقَدْ (( مثَّلَ اللهُ  حَالَ الكُفَّارِ فِي أنَّهُم يُعاقَبُـونَ عَلَى كُفرِهِمْ وَعَداوتِهِمْ لِلمُؤمِنينَ بِلا مُحاباةٍ ولا يَنْفعُهمْ - مَعَ عداوتِهِمْ لَهُمْ - مَا كَانَ بَينَهُم وبينَهُمْ مِنَ النَّسَبِ والمُصَاهَـرةِ ، وإنْ كَانَ المُؤمِنُ الَّذِي يتَّصلُ بِهِ الكافِرُ نَبِياً بِحالِ ٱمرأةِ نُوحٍ، وٱمرأةِ لُوطٍ .. لَمَّا نافَقَتَا وَخانَتَا الرَّسُـولَينِ بإفْشَاءِ أسْرَارِهِما؛ فَلَمْ يُغْنِ الرَّسُولانِ عنهُما، أيْ: عَنِ المرأتين بِحَقِّ مَا بينَهُما مِنَ الزَّواجِ إغناءً مَا مِنْ عَذَابِ اللهِ .. وَقِيلَ لهُما عِنْدَ مَوتِهِما، أوْ يَومَ القِيَامَةِ: ٱدْخُلا النَّارَ مَعَ سائِـرِ الدَّاخِلينَ الَّذِينَ لا وَصْلةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الأَنْبِياءِ ))([[67]](#footnote-66)).. وَكَذا سَائِرُ الأقَارِبِ([[68]](#footnote-67)) !! حَيْثُ بيَّنَ  لَنَا بِـ((ـأنَّ ذَلِكَ لا يُجْدِي عنْهُمْ شَيئاً، وَلا يَنْفعُهُم عِندَ اللهِ إنْ لمْ يَكُنِ الإيمانُ حَاصِلاً فِي قُلُوبِهِم ))([[69]](#footnote-68)).. وَ(( أنَّ صَلاحَ الزَّوْجِ لا يَنْفَعُ الزَّوْجَةَ إذا كَانَتْ مُنْحَرِفةً ، كَمَا إنَّ فَسَادَ الزَّوجَ لا يَضُرُّ الزَّوْجَةَ إذا كَانَتْ مُستَقِيمَةً...))([[70]](#footnote-69)).. كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أجْلِ التَّنْبِيهِ (( عَلَى أنَّ العَذَابَ يُدْفَعُ بِالطَّاعَةِ، لا بِالوَسِيلَةِ !! ))([[71]](#footnote-70)).. (( فَكَمَا لا يَتَحَمَّلُ الإنْسَانُ مَسْؤُولِيَّةَ غَيْرِهِ ؛ فَكَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ مِنَ الأجْرِ إلاَّ مَا كَسَبَ هُوَ لِنَفْسِهِ ))([[72]](#footnote-71))..

(( وَعَلى كلِّ حَـالٍ.. فإنَّ الآية تُبدِّدُ أحْلامَ أولَئِكَ الَّذِيـنَ يَرتَكِبُونَ مَا شَاءَ لَهُمْ أنْ يرتَكِبُوا مِنَ الذُّنُوبِ [كذا] وَهُمْ يَعتَقِدُونَ أنَّ مُجَرَّدَ قُربِهِمْ مِنْ أحَدِ العُظَمَاءِ كَافٍ لِتَخْلِيصِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ .. كَمَا تَتَضمَّنُ الآياتُ الشَّرِيفةُ تَحذِيـراً لِكُلِّ المُؤمِنِينَ بأنَّ القُرْبَ مِنْ أولِيَـاءِ اللهِ  والانْتِسابَ إليهِمْ لا يَكْفِي لِمَنْعِ نُـزُولِ عَذَابِ اللهِ وَمُجَازَاتِهِ ))([[73]](#footnote-72)).. وتبيِّنُ لَنَا بِوُضُوحٍ تامٍّ بِـ((ـأَنَّ القَرِيبَ مِنَ اللهِ  مَنْ قرَّبتهُ الأَخلاقُ والأَعمالُ حتَّى لَـوْ كَانَ أَقْربَ النَّاسِ لأَشْقَى الأشْقِياءِ .. وإنَّ البَعِيدَ عَنْهُ  مَنْ أبْعَدَتْهُ السَّـيِّئاتُ وَالآثامُ حَتَّى لَـوْ كَانَ أقْرَبَ النَّاسِ لأَتْقَى الأتْقِياءِ .. أبَدَاً، لا مُحَاباةَ ، وَلا قَرابات، وَلا شَيءَ عَلَى الإِطْلاقِ يُجْدِي نَفْعاً يَومَ القِيامةِ إلاَّ التُّقَى والإِخْلاصُ ))([[74]](#footnote-73)).. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى؛ فَإنَّهَا تَرْمِي إلَى إرْسَالِ رِسَالَةٍ بَلِيغَةٍ، وَخَطِيرَةٍ ، وَعَظِيمَةِ الشَّأْنِ لِبَنِي الْبَشَرِ؛ فِيهَا مِنَ (( النَّذَارَةِ بِأنَّ طَاعَةَ المُطِيعِ لا تَنفَعُ العَاصِي، وَإنْ كَانَ أقْـرَبَ النَّاسِ إلَى المُطِيعِ.. إلاَّ إذَا كَانَ لَهُ أسَاسٌ يَصِحُّ البِنَاءُ عَلَيْهِ، وَيَجُوزُ الاعْتِدَادُ بِهِ، وَالنَّظَرُ إلَيهِ ... والبِشَارَةِ بِأنَّ عِصْيَانَ العَاصِي لا يَضُرُّ المُطِيعَ !! ))([[75]](#footnote-74))..

(( إنَّ مَبْدَأَ التَّبِعَةِ الفَرْدِيَّةِ يُـرَادُ إبْرازُهُ هُنَا بَعْدَ الأَمْـرِ بِوِقَايَةِ النَّفْسِ وَ**«الأهْـلِ»** مِنَ النَّار... فَلا كَرَامَةَ، وَلا شَفَاعَةَ فِي أمْـرِ الكُفْرِ وَالإيمَانِ، وأمْرِ الخِيَانَةِ فِي العَقِيدَةِ حَتَّى لأزْوَاجِ الأنْبِيَاءِ !! وَهَا هِيَ ذِي ٱمْرَأةُ فِرْعَونَ([[76]](#footnote-75)) لَمْ يَصُدَّهَا طُوفَانُ الكُفْرِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ... عَنْ طَلَبِ النَّجَاةِ وَحْدَهَا... وَهِيَ نَمُوذَجٌ عَالٍ فِي التَّجَرُّدِ إلَى اللهِ مِنْ كُلِّ هَذِهِ المُؤَثِّـراتِ وَهَذِهِ الأوَاصِرِ، وَكُلِّ هَذِهِ المُعَوِّقَـاتِ، وَكُلِّ هَذِهِ الهَوَاتِفِ؛ وَمِنْ ثَمَّ ٱستَحَقَّتْ هَذِهِ الإشَـارَةَ فِي كِتَابِ اللهِ الخَالِدِ الَّذِي تَتَرَدَّدُ كَلِمَاتُهُ فِي جَنَبَاتِ الكَونِ وَهِيَ تَتَنَزَّلُ مِنَ المَلأِ الأعلَى... وَإفْـرَادُ ٱمْرَأةِ فِرْعَونَ بِالذِّكْرِ هُنَا مَعَ مَرْيَمَ بنتَ عِمْرَانَ([[77]](#footnote-76)) يَدُلُّ عَلَى المَكَانَةِ العَالِيَةِ الَّتِي جَعَلَتْهَا قَرِينَةَ مَرْيَمَ فِي الذِّكْرِ !! ))([[78]](#footnote-77))..

ذَلِكَ كُلُّهُ (( لِيَعْلَمَ المُسلِمُ أنَّ أحَدَاً لا يَملِكُ نَفْعَ أحَدٍ يَومَ القِيَامَةِ - وَلَوْ كَانَ أقْرَبَ قَرِيبٍ - إلاَّ بِوَسَاطَةِ الإيمَانِ، وَبِمَا أكْرَمَ اللهُ بِهِ مَنْ شَاءَ بِالشَّفَاعَةِ ))([[79]](#footnote-78)).. وَ(( أنَّ مَنْ كَفَرَ لا يُغنِي عنهُ مِنَ اللهِ شيءٌ، وَلا يَنْفَعُهُ مَلْجَأ أوْ مُعْتَصَم وَلَوْ كَانَ مُتَعَلِّقَاً أوْ مُتَأمِّلاً بِأقْوَى الأسبَابِ.. وأنَّ مَنْ آمَنَ لا يَدفَعُهُ دافِعٌ عَنْ رِضْـوانِ اللهِ ، وَلَوْ كَانَ فِي أسْوأِ مُتَعَلِّقَاً منْشأٍ، وَأخَسِّ حَالٍ !! ))([[80]](#footnote-79)).. وَبِمَعنَىً آخَرَ فَإنَّ (( وَصْلَةَ الكَافِرِينَ بِالمُؤْمِنِينَ لا تَنفَعُ.. وَوَصْلَةَ المُؤْمِنِينَ بِالكَافِرِينَ لا تَضُرُّ !! ))([[81]](#footnote-80))..

نَستَخْلِصُ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ «**القَانُونَ الربَّانيَّ العَادِلَ**» الَّذِي لا يُحَابِي أحَدَاً، والقَاضِـي بِأنَّ (( المَسْؤُولِيَّةَ لَدَى اللهِ  تَبقَى فِي النِّطَاقِ الفَرْديِّ الذِّي يَتَحَمَّـلُ فِيهِ كُلُّ إنْسَانٍ مَسْؤولِيَّةَ عَمَلِهِ مِنْ خَيرٍ، أوْ شرٍّ؛ فَلا قِيمَةَ لِلعَلاقَاتِ بِالخيِّرِيـنَ إذا كَانَ المُتَّصلُ بِهِمْ كافِراً شِرِّيراً.. كَمَا لا قِيمَةَ للعَلاقاتِ بالأَشْرارِ إذا كَانَ المُتَّصلُ بِهِمْ مُؤمِناً خيِّراً ))([[82]](#footnote-81)).. كُـلُّ ذلِكَ يَضَعُ عَلامةَ «**البُطلانِ**» عَلَى تَصَوُّراتِ مَنْ يَقْنعُ بِالاسْمِ فَحَسْبُ، ولا خَبَرَ لَـهُ بِالعَمَلِ والعَلاقاتِ المَذْهبيةِ، ويُثبتُ بِوُضُوحٍ أنَّ الأصلَ والأَسَاسَ الَّذِي يقُومُ عَلَيهِ هذا الدِّينُ هُوَ الإِيمانُ بِالعَقِيدَةِ ، والعَمَلُ بِالمَنْهجِ الصَّحِيحِ ، وَيَنْبغِي أنْ يُقاسَ كُلُّ شَيءٍ بِهذا المِقْياسِ([[83]](#footnote-82))..

(( إنَّ الوَشِيجَةَ الَّتِي يَتَجمَّعُ عَلَيْهَا النَّاسُ فِي هَذَا الدِّينِ وَشِيجةٌ فَـرِيدةٌ تَتَميَّزُ بِهَا طَبِيعَةُ هَذَا الدِّينِ، وَتَتَعلَّقُ بِآفَاقٍ، وآمَاد، وأبْعادٍ، وأهدافَ يَخْتِصُّ بِهَا ذَلِكَ المَنْهجُ الرَّبانيُّ الكَرِيمُ.. إنَّ هذِهِ الوَشِيجَةَ لَيْستْ وَشِيجةَ الدَّمِ والنَّسَبِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ الأَرْضِ والوَطَنِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ القَوْمِ والعَشِيرةِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ اللَّوْنِ واللُّغَةِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ العُنْصُرِ، وَلَيْستْ وَشِيجةَ الحِرفَةِ والطَبَقةِ... إنَّ هذِهِ الوَشَائِجَ جمِيعَها قدْ تُوجَدُ ثُمَّ تَنْقطِعُ العَلاقةُ بَيْنَ الفَرْدِ والفَردِ.. وَهذا هُو المَعْلمُ الواضِحُ البارِزُ على مَفْرقِ الطَّريقِ بَيْنَ نَظْرةِ هَذَا الدِّينِ إلَى الوَشَائجِ والرَّوابِطِ وبَيَنَ نَظَراتِ الجاهِليةِ المُتفرِّقةِ.. إنَّ الجَاهِلِيَّـاتِ تَجْعلُ الرَّابِطةَ آنَـاً هِيَ الدَّمَ والنَّسَبَ، وَآنَـاً هِيَ الأرضَ والوطنَ، وَآنَـاً هِيَ القومَ والعشيرةَ ، وَآنَـاً هِيَ اللَّونَ واللُّغةَ، وَآنَـاً هِيَ الجِنْسَ والعُنْصُرَ، وَآنَـاً هِيَ الحِرفةَ والطَّبَقَةَ !! تَجْعلُها آنَـاً هِيَ المَصالِحَ ))([[84]](#footnote-83))..

إنَّ دُعَاءَ لُوطٍ  «**لأَهْـلِهِ**» فِي قَولِـهِ : رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ([[85]](#footnote-84)) لَمْ يَكُنْ بِسَبَبِ العَلاقَةِ العاطِفِيَّـةِ وَالارتِبَاطِ النَّسَبيِّ الَّذِي تُملِيهِ عَلَيْهِ آصِرةُ القَرَابةِ والنَّسَبِ؛ بَـلْ كانَ لإِيمانِهِم بِهِ وٱتِّباعِهِم لَهُ وٱمتثالِهِم لأَوامِرِ اللهِ  وشَريعَتِهِ الَّتِي جاءَهُم بِها ([[86]](#footnote-85)).. وِمْنُه أَخذَ عَلِيٌّ  قولَهُ: (( إنَّ وليَّ aٍ مَنْ أطاعَ اللهَ وإنْ بعُدتْ لحْمتُه، وإنَّ عدوَّ aٍ مَنْ عَصَى اللهَ وإنْ قرُبتْ قَرَابتُهُ ))([[87]](#footnote-86)).. وَفِي ذلك أَيْضاً يَقُـولُ جَعفرُ بنُ مُوسَى (رَحِمَهُ اللهُ): (( وَلايتي لِـ«aٍ» أحَبُّ إليَّ مِنْ وِلادتي مِنْه ))([[88]](#footnote-87)).. لَقَد وَرَدَ الحديثُ عنِ ٱلاتِّباع في القُرآنِ الكريمِ فِي أكثرِ مِنْ مِائةٍ وَسَبْعِينَ مَوْضِعَـاً؛ ممَّا يدُلُّ على بالِغِ أهميَّةِ هذا الموضُوعِ وخُطُورتِهِ([[89]](#footnote-88))، إذْ مَـرَّ بيانُ أنَّ القُرآنَ الكريمَ يذكُرُ الأشياءَ على قَدَرِ ٱهتِمامِهِ بِها..

ممَّا سبقَ يتَّضِحُ لَنَا جليَّـاً بِأنَّ هُناكَ رَابِطتانِ لا ثالِثةَ لهُمَا بَيْنَ بَنِي البَشَرِ.. وَقَدْ تتَّحِدانِ، وقدْ تَنْفَرِدُ إحْداهُما عَنِ الأُخرى: أمَّـا **الأُولى** فَهيَ رَابِطَةُ النَّسَبِ، وأمَّا **الثانيةُ** فَهِيَ رَابِطَةُ السَّببِ.. فَمِنَ **الأُولَى** مُنْفَرِدةً هِيَ تِلكَ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِـطُ نُوحاً  بِٱبنِهِ، وتِلكَ الَّتِي كَانتْ تربِطُ إبراهيمَ  بِأبيهِ، وتِلكَ الَّتِي كَانَتْ تَرْبِطُ النَّبِيَّ » بِعمِّهِ أبِي لَهَبٍ عَلَى سبيلِ المِثالِ.. ومِنَ **الثَّانيةِِ** تِلكَ التِّي تَـربِطُ سَلْمانَ الفارِسيَّ، وَصُهَيْبَـاً الرُّومِيَّ، وَبِـلالاً الحَبَشيَّ بِرَسُولِ اللهِ ».. ومِنِ **ٱشتِراكِهِما** معاً هِيَ التِّي تربِطُ حَمْزةَ، والعبَّاسَ، وعليَّـاً، وفاطِمةَ، والحَسَنَ، والحُسينَ... وَجُـلَّ الصَّحابةِ  بِهِ »؛ إذْ (( أنَّ النَّبِِيَّ » - كما قالَ ٱبـنُ عبَّاسٍ - لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيشٍ إلاَّ كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابةٌ ))([[90]](#footnote-89))..

الَّذِي أُرِيدُ قولَهُ هُنا هُـوَ أنَّ رابِطةَ النَّسَبِ وَحْدَها لا تَكْفِي المَـرْءَ لِيَرتَقَِيَ إلَى مَرتِبةٍ يَكُونُ فِيهَا مِنْ عِدادِ «**أهْـلِ**» الأنْبِياء وَ«**آلِهِمُ**» الَّذِينَ سَيَكُونُونَ غَداً فِي مَأمَنٍ، وَفِي مَنْجىً مِنْ عذابِ اللهِ  وسَخَطِهِ ؛ بلْ لا بُدَّ لَهَا مِنْ أنْ تُسنَدَ وتُعَضَّدَ بِالثَّانيةِ !! عَلَى العَكْسِ مِنْ رابِطةِ السَّبَبِ وَالعَمَلِ وَالاتِّبَـاعِ الَّتِي يَكْفِي المُؤمِنَ أنْ يأتِيَ بِها ويَرْتقِيَ بِسَببِها - بعدَ رَحْمةِ اللهِ  وفَضلِهِ ومَنِّهِ - إلَى مَصَافَِّ النَّاجِينَ مِنْ عَذَابِ اللهِ  يَـوْمَ القِيامةِ، وَالفَائِـزِينَ بِجَنَّاتِهِ وَرِضَاهُ .. يَقُـولُ :  وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلا مَا سَعَى ([[91]](#footnote-90))..

(( فَلا يُمكِنُ أنْ يَكُونَ هُناكَ جَمَالٌ فِي الحَيَاةِ إذَا كَانَ الطَّالِبُ المُجِدُّ ، والطَّالِبُ الَّذِي لا يَقْرأُ كِتاباً فِي حَيَاتِهِ كِلاهُما يَنْجَحُ.. ولا يُمكِنُ أنْ يَكُونَ هُناكَ جَمَـالٌ فِي الحَياةِ إذا كَانَ الإِنْسانُ الَّذِي يَحْرِثُ الأرْضَ وَيَعتَنِي بِها وَيَسقِيها ويُعالِجُها مِنَ الآفَـاتِ، والإنْسانُ الَّذِي يَتْرُكُ الأرْضَ، وَلا يَعْملُ فِيها شيئاً، بَـلْ يُهمِلُها تَمَامَـاً.. كِلاهُما يَجْنِي نَفْسَ المَحْصُولِ؛ إذا حَدَثَ هَذَا فإنَّ الجَمَالَ فِي الحَياةِ سَيَخْتفِي، ويُصْبِـحُ كُلُّ شَيءٍ قَبِيحاً.. فلا تَجِدُ الطَّالِبَ ينبُغُ، وَلا عَالِماً يَخْترِعُ، وَلا إنْساناً يُضيفُ إلَى الحَياةِ شَيئاً، وَلا مَدِينَـةً تُبنَى؛ مَا دَامَ مَنْ يَعْملُ وَمَنْ لا يَعْملُ سَيَحْصَلانِ عَلَى نَفَسِ النَّتِيجةِ، ويُحقِّقَـانِ نَفسَ الشَّيءِ !!! وَلَكِنَّ الجَمَالَ فِي الحَيَاةِ فِي تَنَاسُبِ النَّتِيجةِ مَعَ العَمَلِ؛ وَعَنْ هَذَا يَتَحدَّثُ القُرآنُ ))([[92]](#footnote-91)).. لِذلكَ فقدْ جَمَعَ الإسْلامُ بَيْنَ المُسلِمِينَ، وسَاوَى بَينَهُم فِي الحُقُوقِ وَالوَاجِباتِ، وَحَصَرَ التَّفاضُلَ بَيْنَهُم فِي التَّقْوَى والعَمَلِ الصَّالِحِ، وَفِي مَا يَعُودُ عَلَى المُجتَمَعِ الإسلاميِّ بِالخَيْرِ؛ وذلِكَ مِنْ شأنِهِ أنْ يُحارِبَ العَصَبيَّةَ القَبَلِيةَ بِشِدَّةٍ ([[93]](#footnote-92))..

قَـالَ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ([[94]](#footnote-93)).. حَيْثُ أرَى بِأنَّ فِي هَذِهِ الآيَـةِ مَعْنىً وَاسِعاً يُضَافُ إلَى جُمْلَةِ مَا قَالَ بِهِ، وَٱقْتَصَرَ عَلَيْهِ جُـلُّ المُفسِّرِينَ بِأنَّ فِي الآيَةِ هُمْ أصْحَابُهُ  فَقَطْ دُونَ سِوَاهُمْ ؛ إذْ أنَّ المَعِيَّةَ فِي هَذِهِ الآيةِ المُبارَكَةِ بِحَسَبِ ٱعتِقَادِي - مِنْ جِهةِ عُمومِ اللَّفظِ - تَحمِلُ مَعنَى **المعِيَّةِ السَّببِيَّةِ** أكْثَـرَ مِنْ دِلالتِها - منْ جِهةِ خُصُوصِ السَّبَبِ - عَلَى **المعِيَّةِ المَكَانيةِ والزَّمانيةِ**؛ لِذَا فَإنَّ  الَّذِينَ مَعَهُ  » (( أي بِمَعِيَّةِ الصُّحْبَةِ مِنْ أصْحَابِهِ، وَحُسْنِ التَّبَعِيَّةِ مِنْ التَّابِعِنَ لَهُمْ بِإحْسَانٍ ))([[95]](#footnote-94)).. فَكُـلُّ مَنْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ » عَلَى دِينِهِ وَشَرْعِهِ وَمَنْهجِهِ فَهُوَ مِنَ  الَّذِينَ مَعَهُ ؛ وإنْ كَانَ الأخِرَ زمانُهُ .. يُـؤَيَّدُ ذلِكَ أنَّ وَعْدَ اللهِ فِي نِهَايةِ الآيةِ نَفْسِها لِـــــالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً  يَشْمَـلُ كُلَّ مَنِ ٱقتفى أثَـرَهُم، وَسَارَ عَلَى هَدْيِهِم إلَى يَوْمِ الدِّينِ.. إذْ أنَّ «**مِـنْ**» هُنا لِبيانِ الجِنْسِ الَّذِي تقدَّمَ ذِكْرُهُ ([[96]](#footnote-95))..

وهِيَ - كَمَا أرَى - مِنْ بَـابِ قولِه :  وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ  فِي قَولِهِ :  وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ([[97]](#footnote-96)).. إذْ أنَّ (( المُرادُ بِـ«الذِّينَ جاؤُوا مِنْ بعدِهِم»: كلُّ مَنْ سارَ بِسيرتِهِمْ إلى يومِ القِيامةِ، ولا وجهَ بِالتَّخصيصِ بِالتَّابِعينَ؛ لأنَّ العِبرةَ بِالأعْمَـالِ، وَلا بِالأمْكِنَةِ وَالأزْمِنَةِ ))([[98]](#footnote-97))..

فَلا وجهَ لِتَخْصِيصِ  الَّذِينَ مَعَهُ  » فِي الآيةِ الكريمةِ الَّتِي نَحْنُ بِصدِدها بِـالصَّحابةِ؛ وإنْ كانَ ينالُهُمْ مِنْهَا أوفَـرُ نصيبٍ!! إذْ أنَّ (( الحُكمَ عَلَى فَـرْدٍ مِنْ أفـرادِ العامِّ بِحُكمِ العامِّ لا يُوجِبُ قَصْرَ العامِّ عَلَى ذلِك الفردِ عَلَى الأصَحِّ .. بَلْ فائِدتُهُ مَزِيدُ الاهتِمـامِ بِِشَأنِ ذَلِكَ الفَرْدِ , والتَّنْـوِيهِ بِرِفعةِ قَدَرِهِ ))([[99]](#footnote-98)).. وَيُـؤَيِّدُ ذَلِكَ مَا قَالَهُ وَهْبَة الزُّحَيلِيُّ - حَولَ الآيَةِ وَعُمُومِهَا - بِكَون هَذا العُمُومِ (( يَشْمَلُ الصَّحَابَةَ وَكُلَّ مَنِ ٱقْتَفَى أَثَرَهُمْ، وَسَارَ عَلَى مَنْهَجِهِمْ مِنْ أفْـوَاجِ الإيمَانِ، وَجُنْدِ الإسْلامِ، وَتَلاحُقِ الأجْيَالِ!! ))([[100]](#footnote-99))..

(( إذْ أنَّ مَعنَى  مَـعَـهُ : المُصَاحَبَةُ الكَامِلَةُ بِالطَّاعَةِ وَالتَّأيِيدِ ))([[101]](#footnote-100)).. وإلَى «**آلِـهِ**»  الَّذِينَ مَعَهُ  جَمِيعاً - (( وَهُمُ المُؤمِنُونَ الَّذِينَ أعْمَالُهُمْ صَالِحَةٌ ))([[102]](#footnote-101)) - قَدْ أشَـارَ النَّبِيُّ » - كَمَا أرَى - فِي قَولِهِ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْهُ أنَسُ بنُ مالِكٍ : (( وَدَدْتُ أنِّي لَقِيتُ إخْوانِي، قَالَ [أي: أنَس ]: فَقالَ أصْحابُ النَّبِيِّ »: أوَلَيْسَ نَحْنُ إخْوانكَ ؟! قالَ: أنْتُمْ أصْحابِي، وَلَكِنَّ إخْـوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَـرَونِي ))([[103]](#footnote-102))..

إنَّ الـرَّابِطةَ الوَحِيدةَ الَّتِي تُدخِلُ الإنْسانَ فِي دَائِـرَةِ «**الأهْـلِ**» وَتَحْتَ ظِلِّ خَيْمتِهِم هِيَ رَابِطةُ «**الإيْمانِ**» و«**العَمَلِ الصَّالِحِ**»؛ (( فَالإِيمَـانُ بِاللهِ  هُوَ القِيمةُ الوَحِيدةُ فِي هَذَا الوُجُودِ، وَهُـوَ القِيمةُ الَّتِي يَجِبُ أنْ يَقُومَ عَلَيْها المُجتمعُ المُسلٍمُ.. وَمَا سِواها مِنَ الرَّوابِطِ والمصالِحِ إنَّما تستظلُّ بِظلِّ الرَّابِطةِ الأُمِّ «**الإيمان**».. وَيَـومَ أنْ تنهارَ هذِهِ الرَّابِطةُ، أو تتفتَّتَ وَتَفقِدُ فاعِليَّتها وَحَيَوِيَّتَها فِي حَياةِ المُسلِمينَ؛ فَـلا قيمةَ لِقُربى ))([[104]](#footnote-103)).. كَذلِكَ فإنَّ مَلائِكةَ الرَّحْمَنِ يَدْعُونَ ربَّهُمْ ، وَيَبْتهِلُونَ إليهِ،  وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ([[105]](#footnote-104))..

فَمَلائِكَةُ الرَّحْمَنِ يَستَغْفِرُونَ لِمَنِ ٱستَوفَوا شَرْطَ الإيمَانِ؛ فَقَادَهُمْ إيمَانُهُمْ وَأدَّى بِهِمْ إلَى ٱتِّبَاعِ سَبِيلِ الرُّشْدِ ، وَٱتِّخَاذِهِ سَبِيلاً لَهُمْ عَلَى طُولِ الخَطِّ الإيمَانِيِّ المُمْتَدِّ وَالمَوْصُولِ بِاللهِ .. وَكَذَا الحَالُ بِالنِّسبَةِ لِلآبَاءِ وَالأزْوَاجِ وَالذُّرِّيَّةِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى ذَاتِ السَّبِيلِ الصَّالِحِ؛ (( وَٱتِّبَاعُ سَبِيلِ اللهِ هُوَ العَمَلُ بِمَا أمَرَهُمْ بِهِ، وَٱجْتِنَابُ مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ ))([[106]](#footnote-105)).. فَجَاؤُوا بِشَرْطِ «**الاتِّباعُ**» و«**الصَّلاحُ**» وَافِيَاً غَيْرَ مَنْقُوصٍ؛ فَدُعَاءُ المَلائِكَةِ لَمْ يَكُنْ عَامَّاً؛ إنَّمَا شَرطُوا - فِي طَلَبَ المَغْفرةِ - أُمُـورَاً؛ فَلا تَكُونُ إلاَّ لِمَنْ أتَـى بأَسْبابِها، وأهَمُّ تِلكَ الأَسبابِ هِيَ: «**الإِيمانُ**» و«**التَّوبةُ**» و«**الاتِّباعُ**» و«**الصَّلاحُ**»([[107]](#footnote-106)).. وَيَقُـولُ  كَذَلِكَ عَلَى لِسَانِ خَلِيلِهِ إبْراهِيمَ :  فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّــهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ([[108]](#footnote-107)).. فَشَرَطَ «**الاتِّـباعََ**» كَعَامِلٍ أسَاسٍ وَرَئِـيسٍ لِتَحقِيقِ مَعْنى «**الأهْـلِيَّةِ والأولِ والرُّجوعِ**»([[109]](#footnote-108)) !!

وَيَقُـولُ :  فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ([[110]](#footnote-109)).. ذَلِكَ يَكونُ يَومَ القيامةِ.. أمَّـا فِي الدُّنيا فالأمْرُ لَيْسَ مُختلِفاً تَمَاماً، فَعَنْ عَائِشةَ  قَالتْ: (( مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ » يَنْسِبُ أحداً إلاَّ إلَى الدِّينِ ))([[111]](#footnote-110))؛ وذلكَ لِـ((ـأنَّ الإنْسانَ مَجْزِيٌّ بِعَملِهِ، لا تَنْفعُهُ قَرَابةٌ، ولا خُلَّةٌ ))([[112]](#footnote-111)).. قَـالَ »: (( مَنْ أبطأَ بِهِ عَمَلُهُ؛ لَـمْ يُسرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ))([[113]](#footnote-112)).. وَيَرْوي الكُلينيُّ فِي «الكافِي» عَنْ جعفرَ بنِ مُحمَّدٍ (رَحِمَهُ اللهُ) أنَّهُ قـالَ: (( واللهِ، مَا نَحْنُ إلاَّ عبيدٌ ؛ مَـا نقدِرُ عَلَى ضُرٍّ وَلا نَفْعٍ، إنْ رَحِمَنَا اللهُ ؛ فَبِرحمتِهِ .. وإنْ عذَّبنا؛ فبِذُنوبِنَـا!! واللهِ مَا لَنا عَلَى اللهِ مِنْ حُجَّةٍ، وَمَا مَعَنا بَـرَاءةٌ ، وإنَّا لَميِّتُونَ، وَمَقْبُورُونَ، وَمَنْشُورُونَ، وَمَبْعُُوثُونَ، وَمَسْؤولُونَ.. أُشهِدُكُم أنِّي ٱمرؤٌ ولَدَنِي رَسُـولُ اللهِ » وَمَا مَعِيَ بَـرَاءةٌ مِنَ اللهِ ؛ إنْ أطَعْتُ رَحِمَني، وإنْ عَصَيتُ عذَّبني عذاباً شديداً ))([[114]](#footnote-113)) ..

إنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ لأَبٍ وأُمٍّ، خُلِقُـوا مِنْ تُرابٍ، وأُعِيدُوا إلَى التُّرابِ، وَجَـرَوا مَجْرى البَولِ، وطَرَأَ عَلَيْهِمُ الأقذارُ.. فَهَذا نَسَبُهُمُ الأعلَى الَّذِي يُـرْدَعُ بِهِ أهلُ العُقُولِ عَنِ التَّعظيمِ والكِبْرياءِ والفَخْرِ بالآبَـاءِ .. ثُـمَّ إلَى اللهِ مَرْجِعُهُم ؛ فَتَنْقطِـعُ الأنْسَابُ، وتبطُلُ الأحْسَـابُ ؛ إلاَّ مَنْ كَانَ حَسَبُهُ التَّقوى، أوْ كانتْ طاعةُ اللهِ  ([[115]](#footnote-114)).. يَقُـولُ الطَّباطَبائيُّ فِي تَفْسيرِ قولِهِ :  قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ([[116]](#footnote-115)): (( إنَّ النَّسَبَ وكُلَّ رَابِطةٍ مِـنَ الرَّوابِطِ الدُّنْيَوِيةِ الاجتِماعِيَّةِ مَقْطُوعةٌ يَـومَ القِيامةِ.. قَالَ : فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ([[117]](#footnote-116)).. وَقَـالَ :  يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً والأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ([[118]](#footnote-117)) ))([[119]](#footnote-118)).. وَفِي هَذَا الصَّدَدِ رَوَى المَجلِسِيُّ فِي بِحَارِهِ عَنْ عليٍّ بـنِ الحُسينِ (رَحِمَهُ اللهُ)؛ وَقَدْ رَآهُ طَاوُوسُ - أحَدُ أصْحَابِهِ - مُتَعلِّقَـاً بِأستَارِ الكَعْبَةِ يَدْعُو رَبَّهُ، وَيَتَضَرَّعُ وَيَتوسَّلُ إليهِ؛ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ مِنَ الدَّمْعِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ  !! فٱسْتَغرَبَ طَاوُوسُ مَـا رَأى؛ وَعَلِيٌّ هُوَ عَلِيٌّ فِي نَسَبِهِ، وَوَرَعِهِ، وتقواهُ !! وَأبَدَى لِعَلِيٍّ (رَحِمَهُ اللهُ) مَـا جَالَ فِي مَكَامِنِ نَفْسِهِ وَخَلَجَاتِ صَدْرِهِ ؟!! فَـأَجَابَهُ عَلِيٌّ قَائِـلاً: (( دَعْ عَنِّي حَدِيثَ أبِي وَأُمِّي وَجَدِّي؛ فَقَدْ خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ، وَلَـوْ كَانَ عَبْداً حَبَشِياً، وَخَلَقَ النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ ، ولَـوْ كَانَ حُرَّاً [أوْ وَلَداً] قُرَشيَّاً.. أمَـا سَمِعْتَ قَولَهُ :  فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ([[120]](#footnote-119)).. وَاللهِ، لا يَنْفَعُكَ غَدَاً إلاَّ تَقْدِمَةٌ تُقدِّمُها مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ ))([[121]](#footnote-120)).. فَـ(( مَنْ هُمُ «**الأهـلُ**»؟؟ الآيَـاتُ المذكُورةُ أعلاهُ تَقُولُ: إنَّ أُولئِكَ لمْ يَخْسَرُوا ثَـرْوَةَ وُجُودِهِمْ فَحَسْبُ؛ وإنَّـما خَسِرُوا ثَـرْوَةَ وُجُودِ «**أهْـلِهِم**» أيْضاً... إنَّ المُرادَ مِنَ «**الأهْلِ**» هُمْ أتْباعُ الإنْسانِ، والسَّائِرُونَ عَلَى نَهْجِهِ... أوْ إنَّها تَعنِي العَائِـلةَ وَالأقَارِبَ فِي الدُّنْيَا ))([[122]](#footnote-121)).. وَفِي هَذَا الصَّدَدِ يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ  قَولُهُ :-

لَعَمْرُكَ مَا الإنْسانُ إلاَّ ٱبنُ سَعْيِهِ فَلا تَتْرُكِ التَّقْوى ٱتِّكَالاً عَلَى النَّسَبِ

فَقَدْ رَفَـعَ الإسْلامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ وَقَدْ وَضَعَ الشِّركُ الشَّرِيفَ أبَا لَهَبِ([[123]](#footnote-122))

وَيُرْوَى عَنْهُ أيْضاً  أنَّهُ قَـالَ :-

كُنِ ٱبنَ مَنْ شِئتَ وٱكتَسِبْ أدَبـاً يُغْنِيـكَ مَحْمُـودُهُ عَـنِ النَّسَـبِ

إنَّ الفَتَى مَـنْ قَـالَ: هَـا أنَا ذا لَيْسَ الفَتَـى مَنْ قَـالَ: كَانَ أبِـي([[124]](#footnote-123))

وَقَـالَ أيْضاً  :-

أيُّها الفَاخِـرُ- جَهْلاً - بِالنَّسَبْ إنَّمــــا النَّـــاسُ لأُمٍّ ولأبْ([[125]](#footnote-124))

وَقالَ زُهيرُ ٱبنُ أبِي سُلْمَى فِي «مُعلَّقتِهِ» :-

............................. وَمَـنْ لا يُكـرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكـرَّمِ([[126]](#footnote-125))

وَقَالَ ٱبنُ الوَرْدِيِّ الكِنْدِيُّ :-

لا تقُـلْ أصلِي وَفَصْـلِي أبَدَاً إنَّمَـا أصلُ الفَتَـى مَا قَـدْ حَصَلْ([[127]](#footnote-126))

وَقَالَ ٱبنُ هَانِئٍ الأزْدِيُّ الأنْدَلُسيُّ :-

وَلمْ أجِدِ ٱلإنْسانَ إلاَّ ٱبنَ سَعْيِهِ فَمَـنْ كَانَ أسْعَى كَانَ بِالمَجْدِ أجْدَرَا([[128]](#footnote-127))

وَمِنْ هُنـا نَجِدُ بِأنَّ (( كَلِمةَ **«عِصَامِيٍّ»**([[129]](#footnote-128)) تُطلَـقُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَصِلُ إلَى أعلَى مَـرَاتِبِ الشَّرِفِ بِجِدِّهِ وٱجتِهادِهِ ، وَلا يَعتمِدُ - فِي ذَلِكَ - عَلَى غَيْرِهِ مِنْ عَشِيرةٍ ، أوْ قَبِيلةٍ، أوْ حَتَّى إرْثٍ .. وَمِـنْ هُنا ٱتُّخِذَتْ نَفْسُ عِصَام مَثَـلاً لِمَنْ يَرَفـعُ قَدَرَهُ بِنَفْسِهِ، وَبِٱكْتِسابِهِ وَجِدِّهِ وَعَملِهِ؛ غَيْرَ مُتَّكِـلٍ عَلَى قَوْمِهِ، وَلا عَلَى مَفَاخِرِهِمْ .. وَعَكْسُها كَلِمَةُ **«عِظَامِيّ»** أيْ: الَّذِي يَعْتمِدُ عَلَى عِظَـامِ أجْدَادِهِ ))([[130]](#footnote-129))..

لَكِنَّ قَانُـونَ اللهِ القِسْطَ يَقْضِي بِأنَّ (( الجِيلَ المُتَأخِّرَ لا يُسألُ عَنْ أعْمَالِ الجِيلِ المُتَقَدِّمِ، وَلا دَاعِيَ لِلافتِخَارِ بِالآبَـاءِ وَالاتِّكَالِ عَلَى المَاضِي؛ فَهَذَا شَأنُ العَاجِزِ الضَّعِيفِ الَّذِي يَنْظُرُ إلَى المَاضِي، وَلا يَتَّجِهُ إلَى المُستَقْبَلِ !! وَأمَّـا العَاقِلُ؛ فَهُوَ الَّذِي يَبنِي مَجْدَهُ بِنَفْسِهِ، وَيُنْجِزُ الأعْمَالَ الطَّيِّبَةَ بِذَاتِهِ، وَيَعِيشُ **عِصَامِيَّاً** مُعتَمِدَاً عَلَى مَا يُقَدِّمُ، لا **عِظَامِيَّاً** يَعِيشُ عَلَى أمْجَادِ غَيْرِهِ .. هَذَا طَرِيقُ البِنَاءِ وَالتَّحَضُّرِ، وَسَبِيلُ التَّفَوُّقِ وَالاحتِرَامِ، وَكَسْبِ السُّمْعَةِ، وَتَحْقِيقِ مَجْدِ الأُمَّـةِ وَالوَطَنِ...

فَإذَا كَانَ الآبَـاءُ أولِيَاءَ وَأصْفِيَاءَ ، أوْ عُظَمَاءَ وَعَبَاقِرةً .. وَأنْتَ الوَارِثُ لَمْ تَعْمَلْ شَيئَاً !! أفَيَنْفَعُكَ هَذَا شَيئَاً أمْ لا ؟؟ إنَّ مَبْدَأَ الإسْلامِ وَاضِحٌ مَعْرُوفٌ؛ وَهُـوَ: وَأنْ لَيْسَ لِلإنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى  وَأنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ([[131]](#footnote-130)) ))([[132]](#footnote-131)).. وَبِنَـاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ يُمْكِنُنَا الحُكْمُ بِأنَّهُ لا يَكُونُ الخَلاصُ يَومَ القِيَامَةِ، (( وَلا تَكُونُ النَّجَاةُ بِالاعتِمَادِ عَلَى أعْمَالِ الآخَرِينَ مِنَ الأسْلافِ وَغَيْرِهِمْ، وَلا عَلَى شَفَاعَةِ الصَّالِحِينَ مِنْ دُونِ الانتِفَاعِ بِهَدْيِهِمْ وَسُنَّتِهِمْ.. وَإنَّمَـا السَّعَادَةُ وَالنَّجَاةُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ !!

إنَّ المَسْؤُولِيَّةَ الشَّخْصِيَّةَ أَسَاسُ الحِسَابِ !! ))([[133]](#footnote-132)).. إذْ أنَّهُ لَـوْ كَانَ النَّسَبُ مِيزَانَ التَّفَاضُلِ بَيْنَ العِبَادِ لَسبَقَ إلَيهِ مَنْ لَيْسَ لَهُ جِدٌّ وَسَعْيٌ وَعَمَلٌ، ولَحُرِمَ مِنهُ العَامِلُ المُثابِرُ، والسَّاعي المُشمِّرُ عَنْ ساعِدِ الجِدِّ !! وَحَاشَا للهِ أنْ يَكُونَ هَذَا مِيزَانُهُ بَيْنَ عِبادِهِ وَهُـوَ القائِـلُ :  لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ([[134]](#footnote-133)).. وَقَالَ :  وَ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ([[135]](#footnote-134))؛ وَلَمْ يقُلْ: «مَا ٱنْتَسَبَتْ»!! وَقَالَ : وَقُلِ اعْمَلُوا([[136]](#footnote-135))؛ وَلَمْ يقُلِ: «ٱنْتَسِبُوا»!! وَمَا أروعَ مَا قالَهُ أعْرَابِـيٌّ لابنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: أيْ بُنيَّ، إنَّكَ مَسْؤولٌ يَـومَ القِيامَةِ عَمَّا ٱكْتَسَبْتَ، وَلَسْتَ بِمَسْؤُولٍ عَمَّا ٱنْتَسَبْتَ([[137]](#footnote-136)) !! (( فَكَمَا لا يَتَحَمَّلُ الإنْسَانُ مَسْؤُولِيَّةَ غَيْرِهِ ؛ فَكَذَلِكَ لَيْسَ لَهُ مِنَ الأجْرِ إلاَّ مَا كَسَبَ هُوَ لِنَفْسِهِ ))([[138]](#footnote-137))..

(( فَلَيْسَ فِي مِيزَانِ الإسْلامِ وَعَدْلِهِ طَرِيقٌ لِتَخْلِيصِ المُجْرِمِينَ مِنَ العَذَابِ بِفِدَاءٍ أو بَدَلٍ يُدْفَعُ ، أوْ بِشَفَاعَةٍ تُشْفَعُ.. وَلا يَنفَعُ فِي اليَومِ الآخِرِ إلاَّ مَرْضَاةُ اللهِ  بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالإيمَانِ المُستَقِرِّ فِي النُّفُوسِ، المُتَجَلِّي فِي أعْمَـالِ الإنْسَانِ.. وَالحُكْمُ إلَى إلَى اللهِ العَدْلِ الَّذِي لا يَنفَعُ لَدَيهِ الشُّفَعَاءُ وَالنُّصَرَاءُ !! ))([[139]](#footnote-138))..

فَعُلِمَ مِنْ كُلِّ مَـا تقدَّمَ بِـ((ـأنَّ لِلمُسلِمِ ٱنْتِماءً واحِداً هُوَ الإسْلامُ ... سُئِلَ أحَدُ الصَّالِحِينَ عَنْ نَسَبِهِ؛ فَقَالَ: «نَسَبِي الإسْلامُ؛ مَنْ حَفِظَهُ حَفِظَ نَسَبَهَ، ومَنْ ضيَّعَهُ ضَيَّعَ نَسَبَهُ» .. وَفِي كَثِيرٍ مِنَ المَشَاهِدِ دَعَـا رَسُولُ اللهِ » أتْباعَهُ إلَى التَّمَسُّكِ بِهَذا النَّسَبِ وَهَذَا الانْتِماءِ ، وَنَبْذِ مَـا وَرَاءَهُ مِنْ دَعْوى الجَاهِليَّةِ؛ ذلِكَ أنَّ مَوَازِيـنَ اللهِ القِسْطَ يَومَ القِيامَةِ لا تَقُومُ عَلَى نَسَبٍ أوْ رَحِمٍ، إنَّما هُوَ الإسْلامُ وَحْدَهُ المُتَفرِّدُ بِتَقْييمِ الأعْمَالِ وَتَقْرِيـرِ المَصِيرِ الأخِيرِ ))([[140]](#footnote-139))..

ولَوْ تأمَّـلتَ (( تارِيخَ المُسلِمِينَ الأوائِـلِ؛ لَوجدتَّهُم يَعتزُّونَ بِالإسْـلامِ لا بِالأنْسابِ.. فَـالدِّينُ والعَقِيدةُ هُما اللُّحْمةُ، وَهُمَـا الرَّابِطةُ القويَّةُ الَّتِي تَرْبِطُ الإنْسان بِغَيْرِهِ ))([[141]](#footnote-140)).. ولَوجَدتَّ كَذلِكَ أنَّ (( مِنْ شأنِ قِيامِ المُجتَمَعِ عَلَى آصِرةِ العَقِيدةِ ، وَعَدَمِ قِيَامِهِ عَلَى العَوَامِلِ الاضْطِرَارِيَّةِ الأُخْرى أنْ يُنشِئَ مُجتَمَعاً إنْسانياً عالَميَّاً مَفْتُوحَاً يَجِيءُ إلَيهِ الأفْـرادُ مِنْ شتَّى الأجْناسِ، والألْوانِ، واللُّغَاتِ، والأقْـوامِ، والدِّماءِ، والأنْسَابِ، والدِّيَـارِ، والأوْطَانِ.. بِكُلِّ حُرِّيتِهِم وٱخْتِيَـارِهِمُ الذَّاتيِّ؛ لا يصُدُّهُم عَنْهُ صَادٌّ، وَلا يَقُومُ فِي وُجُوهِهِمْ حَاجِـزٌ... فَـإنَّ النَّاسَ مَا كَانُوا لِيَخْرُجُوا مِنَ الجَاهِلِيَّـةِ الوَثَنِيَّةِ حَتَّى تَكُونَ العَقِيدَةُ وَحْدَها هِيَ قاعِدةُ تَجَمُّعِهِمْ .. وَمَـا كَانَ الإسلامُ لِيُخلِّصَ النَّاسَ مِنَ الأصْنَامِ الحَجَريَّـةِ والأرْبابِ الأُسْطُورِيَّةِ؛ ثُـمَّ يَرْضَى لَهُمْ - بَعْدَ ذلِكَ- أصْنَامَ الجِنْسيَّـاتِ وَالقَوْمِيَّـاتِ وَالأوْطَـانِ.. وَمَا إلَيْهَا ))([[142]](#footnote-141))؛ وَذَلِكَ لأنَّ الإسْلامَ يُـرِيدُ (( أنْ يُقِيمَ أسَاسَ المُجتَمَـعِ الجَدِيدِ عَلَى قَاعِدَةِ العَقِيدَةِ وَحْدَها، وَعَلَى قَاعِدَةِ المَنْهَجِ المُنْبَثِقِ مِنْ تِلْكَ العَقِيدةِ ))([[143]](#footnote-142)).. فَكَانَ لا بُدَّ أنْ (( يَجْعَـلَ العَقِيدةَ الَّتِي يَملِكُ كُلَّ فَرْدٍ ٱخْتِيارَها هِيَ الآصِرةَ الَّتِي يَقُومُ عَلَيْهَا التَّجَمُّعُ الإنْسَانِيُّ فِي المُجتَمَعِ الإسْلامِيِّ، والَّتِي يَتَقَـرَّرُ عَلَى أَسَاسِهَا مَصِيرُ كُلِّ فَرْدٍ بِإرادَتِهِ الذَّاتِيَّةِ.. وَيَنْفي أنْ تَكُونَ العَوَامِلُ الاضْطِرَاريَّـةُ الَّتِي لا يَدَ لهُ فِيْهَا، وَلا يَملِكُ - كذلِكَ - تَغْيِيرَها بِٱخْتِيارِهِ هِيَ آصِرةَ التَّجَمُّعِ الَّتِي تُقَـرِّرُ مَصِيرَهُ ))([[144]](#footnote-143))..

إنَّ القَـرَابةَ بِالنِّسْبةِ للأنْبِيـاءِ بِمَعنَاها القُرآنيِّ وَالنَّبِويِّ الصَّحِيحِ .. (( فَالقُـربَى لَيْستْ وَشِيجَةَ دَمٍ وَلَحْمٍ؛ إنَّمَا هِيَ وَشِيجَةُ دِيـنٍ وَعَقِيدَةٍ .. وَدَعْوَى القَرَابَةِ، وَالدَّمِ، وَالْجِنْسِ، وَالقَوْمِ .. إنْ هِيَ إلاَّ دَعْوَى الجَاهِليَّـةِ الَّتِي تَصْطَدِمُ ٱصْطِدَاماً أسَاسِيَّـاً بِالتَّصَوُّرِ الإيْمَانِيِّ الصَّحِيحِ الَّذِي يَقْطَعُ الوَشَائِـجَ وَالصِّلاتِ الَّتِي تَقُومُ عَلَى حِسَابِ العَقِيدَةِ وَالعَمَلِ، ويُسقِطُ جَمِيعَ الرَّوابِـطِ والاعتِباراتِ؛ مَـا لَمْ تَتَّصِلْ بِعُـرْوةِ العَقِيدةِ وَالعَمَلِ ))([[145]](#footnote-144)).. وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ فَإنَّ (( البُنوَّةَ بِالنِّسْبةِ لِلأنْبِياءِ هِيَ بُنُوةُ ٱتِّباعٍ وَعملٍ، لا بُنُوةَ نَسَبٍ وَذَاتٍ ؛ بِدَليلِ أنَّ الحَقَّ  نَفَاها عَنِ ٱبنِ نُوحٍ .. فالذَّاتُ مَنْكورةٌ ، والمَذْكورُ هُوَ العَمَلُ ))([[146]](#footnote-145)).. لِذَا (( فَالإسْلامُ لَمْ يَعتبِرِ الدَّمَ، أوِ التُّرابَ، أوِ التَّجَمُّعَ والاشتِراكَ فِي المَقْصَدِ وَالعَمَلِ وَأدَوَاتِهِ، أوِ العُرْفَ، أوِ المَرْكَزَ الاجْتِمَاعِيَّ وَطِرَازَ المَعِيشَةِ أسَاسَاً فِي تَقْيِيمِ الإنْسانِ.. بَـلْ أنَّ الرَّابِطَ الأسَاسَ وَالمُقَدَّسَ بَيْنَ أفْرادِ الإنْسانِيَّةِ هُـوَ العَمَلُ.. وَإنَّ الأُمُـورَ الخَارِجَةَ عَنْ ذَلِكَ لا يَحْصََلُ بِهَا فَضلٌ عِندَ اللهِ بِمُجرَّدِهَا ))([[147]](#footnote-146)).. وَفِي ذَلِكَ قَـالَ رَسُولُ اللهِ » فِيمَا يَـرْوِيهِ عنهُ أبُو هُريرةَ : (( إنَّ اللهَ  قَدْ أذْهَبَ عنكُمْ عبيةَ الجاهِلِيَّةِ([[148]](#footnote-147)) وَفَخْرَها بِالآباءِ .. مُؤمِـنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، أنتُمْ بَنُو آدَمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ ))([[149]](#footnote-148)) ..

يَقُـولُ :  يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ ([[150]](#footnote-149)).. وَيَقُولُ : يَـــا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمَـــاً لا يَـــجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُــوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَــيْــئاً إِنَّ وَعْــدَ اللَّــهِ حَـــقٌّ فَــلا تَــغُرَّنّــَكُمُ الْحَيَــاةُ الدُّنــْيَــا وَلا يَغُرَّنَّـــكـُمْ بِاللَّــهِ الْغَــرُورُ([[151]](#footnote-150)).. وَفِي ذلِكَ تَرْبيةٌ مِنَ القُرآن لِلأُمَّةِ (( أنَّهُ لا مَجَالَ فِي العَقِيدةِ لِوالِدٍ، وَلا لِقَوْمٍ .. وأنَّ الرَّابِطَـةَ الأُولَى هِيَ رَابِطةُ العَقِيدةِ ، وأنَّ القِيمةَ الأُولَى هِيَ قِيمَةُ الإيمَـانِ.. وَأنَّ مَا عَدَاهُ تَبَعٌ لَهُ؛ يَكُونُ حَيْثُ يَكُونُ ))([[152]](#footnote-151)).. وَمِنْهُ أيْضاً قَولُ رَسُـولِ اللهِ »: (( يَتْبعُ المَيِّتَ ثَـلاثةٌ.. فَيَرجِعُ ٱثْنانِ، وَيَبقى مَعَهُ واحدٌ؛ يتْبعُهُ «**أهْـلُهُ**» وَمَالُهُ وَعَملُهُ، فَيَرجِعُ «**أهْـلُهُ**» وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَمَلُهُ ))([[153]](#footnote-152))..

وَيَقُولُ :  وَإِنْ تَــدْعُ مُثـــْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِــهَا لا يُحْمَــلْ مِنــْـهُ شئ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى([[154]](#footnote-153)).. فَكُلُّ إنْسانٍ (( مُحَاسَبٌ عَلَى مَا كَسَبتْ يَدَاهُ ؛ يَحْمِلُ حِمْلَهُ وَحْدَهُ ، لا يُعِينُهُ أحَدٌ عَلِيهِ.. وَمَنْ يَتَطهَّرْ فإنَّمَـا يَتَطهَّرُ لِنَفْسِهِ، وَهُوَ الكاسِبُ وَحْدهُ لا سِواهُ ، والأمْـرُ كلُّه صائِـرٌ إلَى اللهِ... وَحَقِيقةُ فَرْدية التَّبِعةِ والجَزَاءِ ذَاتُ أَثَـرٍ حاسِمٍ فِي الشُّعُـورِ الأخْلاقِـيِّ، وَفِي السُّلُوكِ العَمَليِّ سَـوَاءً .. فَشُعُـورُ كُلِّ فَرْدٍ بأنَّه مَجْزيٌّ بِعَملِهِ، لا يُؤاخذُ بِكَسْبِ غَيْرِهِ، ولا يتخلَّصُ هُـوَ مِنْ كَسْبِهِ عَامِلٌ قَوِيٌّ فِي يَقْظتِهِ لِمُحاسَبةِ نَفْسِهِ قَبـلَ أنْ تُحاسبَ !! مَعَ التَّخلِّي عَنْ كلِّ أمْـرٍ خادِعٍ فِي أنْ يَنْفعَهُ أحدٌ بِشَيءٍ ، أوْ أنْ يَحْمِلَ عَنْهُ أحدٌ شَيْئَـاً.. كَمَا أنَّهُ - في الوَقْتِ ذاتِهِ - عَامِـلٌ مُطَمْئِنٌ؛ فَلا يَقلقُ الفَـرْدُ خِيفةَ أنْ يُؤخَذَ بِجَريـرَةِ الجَمَاعةِ؛ فَيَطِيشَ وَيَيْئَسَ مِنْ جَدْوى عَمَلِهِ الفَرْديِّ الطيِّب مَـا دامَ قدْ أدَّى وَاجِبَهُ فِي النُّصحِ لِلجَمَاعَةِ، وَمُحاوَلَـةِ رَدِّهَا عَنِ الضَّلالِ بِمَا يَملِكُ مِنْ وَسِيلةٍ ))([[155]](#footnote-154))..

(( إنَّ اللهَ  لا يُحاسِبُ النَّاسَ جُملةً بالقائِمةِ !! إنَّما يُحاسِبُهُمْ فَـرْداً فَرْداً؛ كـلٌّ عَلَى عَمَلِهِ فِي حُدُودِ وَاجبِهِ.. وَمِنْ وَاجِبِ الفَـرْدِ أنْ يَنْصَحَ، وأنْ يُحاوِلَ الإصْـلاحَ غَايَةَ جُهدِهِ ؛ فَإذَا قَامَ بِقِسْطِهِ هَذَا فَلا عَلَيهِ مِنَ السُّوءِ فَي الجَمَاعةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا؛ فإنَّما هُوَ مُحاسَبٌ عَلَى إِحْسانِهِ .. كَذَلك لَـنْ يَنْفعَهُ صَلاحُ الجَمَاعَةِ إذا كانَ هُـوَ بِذاتِهِ غَيْرُ صَالِحٍ.. فاللهُ  لا يُحاسِبُ بِالقَائِمَةِ ))([[156]](#footnote-155))..

قَالَ النَّبِيُّ » عَنْ حَفِيدِهِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ : (( إنَّ ٱبْنِي هَذَا «**سيِّـدٌ**»؛ لَعَـلَّ اللهَ أنْ يُصلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتيْنِ عَظِيمتَينِ مِنَ المُسلِمِينَ ))([[157]](#footnote-156)).. وَقَـالَ » عَنْ سَعْدِ بنِ مُعَاذ  أيْضَاً بِأنَّهُ «**سيِّدٌ**»؛ وَذَلِكَ حِينَمَا قَـالَ لِلأنصارِ  يَومَ الحُكْمِ عَلَى بَنِي قُـرَيظةَ: (( قُومُوا إلَى «**سيِّدِكم**» ))([[158]](#footnote-157)).. وَالَّذِي أَرَاهُ مِنِ ٱخْتِصَاصِ هَذَينِ الصَّحَابِيَيْنِ الجَلِيلَينِ «**السيِّدَيْـنِ**»  بِهَذا اللَّقَبِ العَظِيمِ مِنْ لَدُنْ رَسُـولِ اللهِ الصَّادِقِ المَصْدُوقِ »، وَتَشَرُّفِهِما بِهِ؛ هُوَ أنَّهُمَا  كَانَـا بِحَقٍّ يتمتَّعانِ بِهَذَا المَنْصِبِ مِنَ الرِّئَـاسةِ والصَّدارةِ فِي قَومِهِمَا.. وَالأهَـمُّ مِنْ هَذَا هُـوَ كَونُهُما صَاحِبَيِ ٱلقَـولِ الفَصلِ، وَالكَلِمةِ المَسْمُوعَةِ، وَالقَرَارِ المَصِيريِّ الأخِيـرِ فِي حَسْمِ الأُمُـورِ الجَلِيلَةِ وَالخِلافَاتِ العَالِقَةِ !!

فَهَذا الحَسَنُ  قَدْ حَقَنَ بِصُلْحِهِ مَـعَ مُعَاوِيَـةَ  دِمَاءَ المُسلِمِينَ بَعْدَ أنْ كَادَتْ تُراقَ مِنْ جَدِيدٍ، وَوَحَّدَ كلِمتَهم بَعْدَ أنْ كَادَتْ تَعُـودَ لِتَتَفرَّقَ ثَـانِيَةً، وجَعلَهُم يَدَاً عَلَى عَدُوِّهِمْ بَعْدَ أنْ كَادُوا - كَمَا كَانُوا قُبَيلَ الصُّلْحِ - يَصْطرِعُونَ فِيَمَا بينَهُم فِي فِتْنَةٍ وَقَى اللهُ شَرَّهَـا([[159]](#footnote-158)).. أمَّـا سَعْدُ بنُ مُعاذٍ ؛ فَمَا أنْ يَمَّمَ سَفِيرُ رَسُـولِ اللهِ » مُصْعَبُ بنُ عُمَيرِ  نَاحِيةَ المَدِينةِ، وَتَـوَجَّهَ تِلْقاءَهَا بِـأمْرِ مَنْ أرْسَلَهُ؛ حَتَّى أسلمَ سَعدٌ بَيْنَ يَدَيهِ.. وَلَيْسَ ذَلِكَ فَحَسْبُ؛ بَـلْ الأَمْـرُ كَمَا قَالَ (( أسْعَدُ بـنُ زُرَارةَ لِمُصعبَ بنِ عُمَيـرٍ: أيْ مُصْعَبُ، جَاءَكَ - وَاللهِ - «**سيِّدُ**» مَـنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَـوْمِهِ؛ إنْ يَتَّبِعْـكَ لا يَتَخلَّفْ عَنكَ مِنْهُمُ ٱثنانِ!! ))([[160]](#footnote-159)).. فَلَّما جَـاءَهُ وَقَصَّ عَلَيهِ القَصَصَ؛ شَهِدَ أنْ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ، وأنَّ aاً عَبْدُ اللهِ وَرَسُـولُهُ.. (( فَلَمَّا أسلَمَ  وَقَفَ عَلَيهِمْ، وَقَالَ: يَـا بَنِي عَبْدِ الأَشْهَل([[161]](#footnote-160)): كَيْفَ تَعلَمُونَ أمْـرِي فِيكُمْ ؟؟ قَالُـوا: «**سَيِّدَنَا**»، وَأَوْصَلَنَا، وَأفْضَلَنَا رَأْيَـاً، وأيْمَنَنَا نَقِيبَـةً.. قَـالَ: فَإنَّ كَلامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ؛ حَتَّى تُؤْمِنُـوا بِاللهِ وَبِرَسُـولِهِ.. فَمَـا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلا ٱمْـرَأةٌ إلاَّ مُسلِمَاً وَمُسلِمَةً !! ))([[162]](#footnote-161)).. لِـذَا، «**فَالسَّيِّدُ**» هُـوَ الرَّئـيسُ فِي طَاعَةِ اللهِ عَلى «**أَهْـلِ**»طاعتِهِ، والقائدُ لَهُمْ مِنْ حَيثُ العِلْمِ والعَمَلِ.. قَالَ  عَنْ نبيِّهِ يَحْيَى بنِ زَكرِيَّـا  ضِمْنَ جُملَةِ أوْصَافِهِ الحَسَنَةِ: وَسَيِّداً وَحَصُوراً([[163]](#footnote-162))..

لَقَدْ أفَـاضَ القُرآنُ الحَكِيمُ مِنْ ذِكْرِ الآيَـاتِ الَّتِي تَحُثُّ الإنْسَانَ عَلَى العَمَلِ وَالجِدِّ والمُثابَرةِ ، وَتَجْعَلُ هَذِهِ الأُسُسَ مِيزَانَـاً يَعْرِفُ الإنْسَانُ مِنْ خِلالِهَا قِيمَةَ نَفْسِهِ، وسِرَّ تفضيلِهِ عَلَى خَلْقِ رَبِّهِ، وأهميَّةَ وُجُودِهِ ، وَالغَايَـةَ مِنْ خَلْقِهِ وَإيجَادِهِ مِنَ العَدَمِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، والحِكمةَ مِنْ هَذَا الخَلْـقِ والإيجَادِ، وَمِنْ ذَاكَ الوُجُودِ، وَمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ... وَقَدْ كَثُرَتْ آيَاتُهُ بِهَذَا الصَّدد حتَّى بَلَغَتِ العَشَرَاتِ.. وَلَمْ نَجِدْ فِيهِ آيَـةً وَاحِدةً تَدْعُو إلَى الاتِّكَـالِ عَلَى إرْثِ الأسْـلافِ مِنَ الآبَـاءِ والصَّالِحينَ، أوْ عَلَى النَّسَبِ!! والقُرآنُ يذكُرُ الأشياءَ عَلَى قَدَرِ ٱهْتِمَامِهِ بِهَا - كَمَا مَرَّ بيانُهُ - ([[164]](#footnote-163))..

وَكَذَلِكَ؛ فَقَدْ حَذَا الأنْبِيـاءُ  حَذْوَ القُرآنِ فِي هذا المَجَالِ، فَهذا نبيُّنا aٌ » يأمُرُ أهلَهُ، ويُنذِرُ عشيرَتَهُ الأقربينَ؛ ٱمتِِثالاً لأمْرِ ربِّهِ  فيقُولُ: (( يَـا مَعْشرَ قُرَيشٍ ٱشتَرُوا أنفسَكُمْ مِنَ اللهِ ، لا أُغْنِي عَنْكُم مِنَ اللهِ شيئاً.. يَـا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب، لا أُغني عنكم مِنَ اللهِ شيئاً.. يَـا عبَّاسُ بنَ عبدِ المُطَّلب، لا أُغْنِي عَنكَ مِنَ الله شيئاً.. يَـا صَفِيَّةُ، عمَّةَ رَسُولِ اللهِ، لا أُغْنِي عَنكِ مِنَ اللهِ شيئاً.. يَـا فاطِمةُ ٱبنتَ رَسُولِ اللهِ، سَلِينِي بِمَا شِئْتِ، لا أُغنِي عَنْكِ مِنَ الله شيئاً !! ))([[165]](#footnote-164))..

وَفِي رِوَايَةِ «مُسلِمٍ» (( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ  قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:  وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ([[166]](#footnote-165))؛ دَعَا رَسُولُ اللهِ » قُرَيشَاً؛ فَٱجتَمَعُوا.. فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَـالَ: يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.. يَـا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ؛ أَنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ.. يَـا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ؛ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.. يَـا بَنِي عَبْدِ منَافٍ؛ أَنقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.. يَـا بَنِي هَاشِمٍ؛ أَنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ.. يَـا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ؛ أَنْقِذُوا أنْفُسَكُمْ مِنْ النَّارِ.. يَـا فَاطِمَةُ؛ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإنِّي لا أَملِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيئَاً.. غَيْرَ أنَّ لَكُمْ رَحِمَاً سَأَبَِلُّهَا بِبَِلالِهَا ))([[167]](#footnote-166)).. (( أيْ: سَأرُشُّ عَلَيْهَا مَاءً مِنْ عِنْدِي فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا.. وَفِي هَذِهِ العِبَارَةِ كِنَايَةٌ عَنْ أنَّه » سَيَصِلُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِصِلاتٍ تَقْتَضِيهَا الرَّحِمُ؛ وَلَكِنَّهُ لا يَسْتَطِيعُ أنْ يَنْفَعَهُمْ عِنْدَ اللهِ بِنَافِعَةٍ إذَا لَمْ يُؤْمِنُوا وَيُسلِمُوا !! ))([[168]](#footnote-167)).. قَالَ مُسلِمٌ فِي تَعلِيقِهِ عَلَى هَذَا الحَدِيثِ الشَّرِيفِ: (( «فَإنِّي لا أَملِكُ لَكُمْ» مَعنَاهُ : لا تَتَّكِلُوا عَلَى قَرَابَتِي؛ فَإنِّي لا أَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ مَكْرُوهٍ يُـرِيدُهُ اللهُ  بِكُمْ .. «سَأبَِلُّهَا([[169]](#footnote-168)) بِبَِلالِهَا»... وَالبَِلالُ: المَاءُ ، وَمَعنَى الحَدِيثِ: سَأَصِلُهَا.. شُبِّهَتْ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ بِالحَرَارَةِ ، وَوَصْلُهَا بِإطْفَاءِ الحَرَارَةِ بِبُرُودَةٍ .. وَمِنْهُ: «بلُّوا أَرْحَامَكُمْ، أيْ: صِلُوهَـا» !! ))([[170]](#footnote-169))..

وَقَدْ مَـرَّ مَعَنَا قَبلَ قَلِيلٍ قَولُهُ »: (( يَتْبعُ المَيِّتَ ثَـلاثةٌ.. فَيَرجِعُ ٱثْنانِ، وَيَبقى مَعَهُ واحدٌ؛ يتْبعُهُ «**أهْـلُهُ**» وَمَالُهُ وَعَملُهُ، فَيَرجِعُ «**أهْـلُهُ**» وَمَالُهُ، وَيَبقَى عَمَلُهُ ))([[171]](#footnote-170)).. وَالأمْـثِلةُ مِنْ هَذا القَبيلِ كَثِيرةٌ فِي السُّنةِ الشَّرِيفةِ؛ الأَمْـرُ الَّذِي جَعَلَ البُخَاريَّ وَغَيرهِ مِنْ أهْـلِ الحَدِيثِ يُخَصِّصُونَ أبْوابَـاً كَامِلةً مُخْتَصَّةً بِهَذَا المَوْضُوعِ الهامِّ الخَطِيرِ.. فَفِي صَحِيحِ البُخـاريِّ - مثلاً- بَـابٌ بِعُنْوانِ: «**إنَّ الإيمَـانَ هُوَ العَملُ**»([[172]](#footnote-171))... الخ..

وَكَذَلِكَ الحالُ والأمْرُ بِالنِّسْبةِ لِلصَّفْـوةِ المُخْتَارَةِ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّـةِ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ عليٍّ  قَولُهُ: (( المُؤمِنُ بِعَمَلِهِ ))([[173]](#footnote-172)).. وَقَولُهُ : (( لا تكُنْ مِمَّنْ يَـرْجُو الآخِرةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ))([[174]](#footnote-173)).. وَقَولُهُ : (( المَـرْءُ لا يَصْحَبُهُ إلاَّ العَمَلُ ))([[175]](#footnote-174)).. وقولُهُ : (( الإسْـلامُ هُوَ التَّسلِيمُ .. والتَّسلِيمُ هُوَ التَّصْدِيقُ.. والتَّصْدِيقُ هُوَ اليَقِينُ.. واليَقِينُ هُوَ الأدَاءُ .. وَالأدَاءُ هُـوَ العَمَلُ ))([[176]](#footnote-175)).. كَمَا رُوِيَ عَنْ جَعفَرَ بنِ مُحمَّدٍ (رَحِمَهُ اللهُ) قَولُهُ: (( ٱسْعَ فِي فَكَاكِ نَفْسِكَ كَمَا تَسْعَى فِي طَلَبِ مَعِيشَتِكَ؛ فَـإنَّ نَفْسَكَ رَهِينَةٌ بِعَمَلِكَ ))([[177]](#footnote-176)).. وَقَولُهُ (رَحِمَهُ اللهُ): (( دَعَا اللهُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِآبَـائِهِمْ لِيَتَعَارَفُوا، وَفِي الآخِرَةِ بِأعْمَالِهِم لِيُجَازَوا))([[178]](#footnote-177)).. وَقَولُهُ (رَحِمَهُ اللهُ): (( لا يَكُونُ المُؤمِنُ مُؤمِناً حتَّى يَكُونَ خَائِفاً رَاجِيَاً، وَلا يَكُونُ خَائِفاً رَاجِيَاً حتَّى يَكُونَ عَامِلاً لِمَا يَخَافُ وَيَرْجُو ))([[179]](#footnote-178))..

المبحث الثاني/

الولاء والحب بين العواطف والمواقف

بَعْدَ أنْ تَعَرَّفْنَا فِي المَبْحَثِ السَّابِـقِ عَلَى مَبْدأِ «**العَمَلِ والسَّعْيِ**»، وَمَدى تأثِيرِهِمَا الصَّمِيمِيِّ البَالِـغِ فِي تَمْحِيصِ وَتَحْدِيدِ مَنْ يُرِيدُ الانْتِمَاءَ إلَى هَذَا الدِّيـنِ وَ**«أهْـلِهِ»** لِيَكُونَ هُوَ الآخَرُ مِنْ جُملةٍ «**الأهْـلِ والآلِ**».. سَنَتعرَّفُ فِي هَذَا المَبْحثِ بِإذْنِ اللهِ  عَلَى وَاحِدٍ مِنَ المَفَاهِيمِ وَالأُسُسِ المُهمَّةِ وَالضَّرُورِيَّةِ مِنْ أجْـلِ تَحقِيقِ مَفْهومِ «**الأهْـليَّةِ**» وَالرُّجُوعِ للهِ وَرَسُولِهِ وَدِينِهِ.. ذَلِكَ هُوَ «**مِيزانُ الـوَلاءِ والحُبِّ**».. لِنَعْرفَ مَدَى عَلاقَتِهِ بِهَذيْـنِ المَفْهُومَينِ.. ذلِكَ كلُّهُ مِنْ خِلالِ رُؤيةٍ قُرآنِيةٍ مُتمعِّنةٍ..

فَالمَحَبَّةُ (( هِيَ الحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَها فَهُوَ مِنْ جُملَةِ الأمْوَاتِ، والنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ ؛ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَالشِّفاءُ الَّذِي مَنْ عُدِمَهُ؛ حلَّتْ بِقَلْبِهِ جَمِيعُ الأسقَـامِ، وَاللَّذةُ الَّتِي مَنْ لَـمْ يَظْفَرْ بِهَا؛ فَعَيْشُهُ كُلُّهُ هُمُومٌ وآلامٌ ))([[180]](#footnote-179)).. وَلكِنْ حُـقَّ لَنَا أنْ نَسألَ: مَا هِيَ المَحَبَّةُ الَّتِي أرَادَهَا اللهُ  مِنَّا، وَأرشَدَنَا إلَيْها فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ.. وَأرَادَها رَسُـولُنَا الأكْرَمُ »، وَدَلَّنَا عَلَيْها فِي سُنَّتِهِ المُطهَّـرةِ ؟؟ هَذَا مَا سَنُحَاوِلُ التَّعَرُّفَ عَلَيهِ مِنْ خِلالِ الوُرَيقَـاتِ اللاحِقِةِ بِإذْنِ اللهِ ...

إنَّ الحُبَّ المُـرادَ للهِ فِي التَّكْلِيـفِ هُوَ الحُبُّ العَقليُّ، وَلَيسَ الحُبَّ العَاطِفيَّ ([[181]](#footnote-180))؛ لِذَا فَإنَّ الحُبُّ العَاطِفِيُّ المُجرَّدُ لا يَقُومُ دَلِيلاً عَلَى ذَلِكَ الحُبِّ الشَّرْعيِّ؛ لأنَّهُ - فِي أحْسَنِ أحْوالِهِ- لا يَتَعَدَّى الشَّكْلَ، وَأنَّ (( الامتِحَانَ لا يَنْطَوِي- لِكَيْ يُحَقِّقَ النَّجَاحَ - عَلَى الشَّكْلِ.. وإنَّمَا الأسَاسُ فِيهِ يُمثِّـلُ مَادَّتَهُ ))([[182]](#footnote-181)).. فَلَيْسَ الحُبُّ ٱدِّعاءاتٍ تَلُوكُهَا الأَلْسُنُ.. وَلَيْسَ الحُبُّ تَسلِيَةً للأحْـزانِ لِفَتْرةٍ مَا.. وَلَيسَ الحُبُّ نَظَريةً مِنَ النَّظَرِياتِ، يَغُوصُ العَقلُ فِي كَشْفِ خَفَاياها.. بَـلِ الحُبُّ هُوَ الانْدِماجُ الكُلِيُّ فِي المَبادِئِ الَّتِي عَاشَ مِنْ أجلِهَا المَحْبُـوبُ.. وَالمُتَمثِّلةُ فِيمَا يُرِيدُهُ اللهُ  مِنَ ٱلانْقِيادِ لأَوامِرِهِ ، وَالعَملِ بِوَصَايَاهُ ، وَالتَّضْحِيةِ بِكُلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ فِي سَبِيلِهِ([[183]](#footnote-182)).. (( وَالوَاقِعُ العَمَليُّ هُوَ الَّذِي يَمْنحُ القَولَ الشَّفَويَّ دِلالَتَـهُ...))([[184]](#footnote-183)).. وَهَذَا يَجْعلُنا عَلَى بيِّنةٍ وَبَصِيرَةٍ وَعِلْمٍ تـامٍّ بِـ(( مَبْدأٍ كُلِّيٍّ مِنْ مَبادِئِ الإسْلامِ: «**إنَّه لا قِيمةَ لِقَـولٍ بِلا عَمَلٍ**».. إنَّ العَمَلَ هُوَ ٱلمُعتَبَرُ، أوْ هِيَ الوحْدةُ بَيْنَ الكَلِمةِ المَنْطُوقَـةِ والحَرَكةِ الوَاقِعةِ، وَهِيَ مَنَاطُ الحُكْمِ والتَّقْدِيـرِ ))([[185]](#footnote-184))..

إنَّ لِكُلِّ شَيءٍ حَقِيقةً وَبُـرهَاناً، وَحَقِيقةُ الحُبِّ: العَمَلُ والسَّعيُ مِنْ أجلِ إِرْضَاءِ المَحْبُوبِ .. كُلُّ ذَلِكَ يَكُونُ ضِمْنَ دَائِـرةِ ٱتِّباعِهِ وَطَاعتِهِ بِالمَعْرُوفِ، وَالعَمَلِ بِمَنْهجِ اللهِ الَّذِي يَحْمِلُهُ؛ إذْ بِالعَمَلِ وَحدَهُ يبلُغُ العَبْدُ غَايَةَ الحُبِّ، وبِهِ يُثْبِتُ صِدْقَ دَعْواهُ ، وَيَأْتِي عَلَيهَا بِالبَيِّنةِ، وَ(( صِدْقُ الحُبِّ لا بُدَّ أنْ يَدْفَعَ - فِي الغَالِبِ - إلَى السَّبْقِ فِي الطَّاعَاتِ، وَالعَمَلِ بِمَا يُرضِي المَحْبُوبَ ))([[186]](#footnote-185)).. فَالحُبُّ - إذَنْ - مِنَ الحَقَائِقِ القَلْبِيَّةِ البَاطِنَةِ؛ فَلا بُدَّ لَهَا مِنْ فِعلٍ ظَاهِـرٍ يُبَرهِنُ عَلَى صحَّتِهَا وَيُؤيِّدُها، (( وَكُلُّ حَقِيقَةٍ لا يَقُومُ صَاحِبُها بِشَرائِعِ الإسْلامِ الظَّاهِرَةِ لا تَنْفَعُ وَإنْ كَانَتْ مَا كَانَتْ !! فَلَوْ تَمَزَّقَ القَلْبُ بِالمَحَبَّةِ وَالخَوفِ، وَلَمْ يَتَعبَّدْ بِالأمْرِ وَظَاهِرِ الشَّرْعِ؛ لَمْ يُنْجِهِ ذَلِكَ مِنَ النَّارِ.. كَمَا أنَّهُ لَوْ قَامَ بِظَوَاهِرِ الإسْلامِ، وَلَيْسَ فِي بَاطِنِهِ حَقِيقَةُ الإيْمانِ؛ لَمْ يُنجِهِ ذلكَ مِنَ النَّارِ ))([[187]](#footnote-186))؛ وَذَلِكَ لِـ((ـأنَّ فَضلَ الأَعْمَالِ لَيْسَ بِمُجَرَّدِ صُوَرِها، بَلْ بِحَقَائِقِهَا فِي القُلُوبِ ))([[188]](#footnote-187)).. رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ » قَولُهُ: (( اللَّهُمَّ وأسألُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إلَى حُبِّكَ ))([[189]](#footnote-188)).. وَلَنَا فِيهِ »  أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ([[190]](#footnote-189)).. فَقَدْ أكَّدَ » فِي دُعَائِهِ عَلَى العَمَلِ، وَعَدَّهُ مِنْ خَيْرِ القُرُبَاتِ إلَى اللهِ ، وَمِنْ أهَمِّ أسْبَابِ الحُبِّ الإسْلامِيِّ الشَّرعِيِّ المُتكَامِلِ وَالقَائِمِ عَلَى أُسُسٍ سَلِيمَةٍ، وَمِنْ أهَمِّ السُّبُـلِ المُوصِلةِ إلَى اللهِ .. وَ«**العَمَلُ**» مَعنَاهُ «**الاتِّبَاعُ**»؛ و«**الاتِّبَاعُ**» لا يَكُونُ إلاَّ مِنْ خِلالِ «**العَملِ**»([[191]](#footnote-190))..

فَالحُبُّ هُـوَ سَبَبُ الطَّاعةِ، والطَّاعةُ هِيَ نَتِيجةُ الحُبِّ.. وإنَّهُ لا يَنْفَـكُّ وَلا يَتَجرَّدُ - بِأيِّ حَالٍ مِنَ الأحْوالِ- عَنِ الأدَاءِ والفِعلِ وَالامتِثَـالِ.. وأيُّ ٱفْتِراقِ بَيْنَ الحُبِّ والعَمَلِ بِمُقتضى هَذَا الحُبِّ؛ سَيُـؤَدِّي - بِالنَّتِيجَةِ - إلَى ٱخْتِـلالٍ فِي مَفْهُومِ الحُبِّ، وإلَى ٱنْهيَارِ عُرَاهُ وَأُسُسِهِ.. فَالحُبُّ هُـوَ المَعْرِفةُ وَالدِّينُ وَالطَّاعةُ، وَلْيسَ فَقَط العَوَاطِفَ العَابِرةَ ، وَالمُيُولاتِ القلبيِّةَ([[192]](#footnote-191))؛ وَعَلَيهِ.. فَـإنَّ حبَّنَا لِلنَّبِيِّ وَآلِهِ » يَجِبُ أنْ يَكُونَ مُؤطَّـراً بِإطَارِ طَاعَتِنا وَٱتِّباعِنَا لَهُمْ، وَتَأسِّينَا بِهِمْ.. قَالَ ٱبـنُ قيِّمِ ٱلجَوْزِيَّـةِ: (( لَقَدْ تَنَوَّعَ مَنْ يَدَّعِي الحُبَّ ٱدِّعَاءً لَيْسَ لَهُ شَيءٌ مِنَ الحَقِيقَةَ؛ فَكَأنَّـهُ قِيلَ: لا تُقْبَلُ هَذِهِ الدَّعْوى إلاَّ بِبيِّنَةِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ([[193]](#footnote-192)).. فَتَأخَّـرَ الخَلْقُ كُلُّهُمْ، وَثَبَتَ أتْباعُ الحَبِيبِ » فِي أفْعَالِهِ وَأقْوالِهِ ... فَمَا لَمْ تَتَّبِعُوا الرَّسُـولَ؛ فَلَسْـتُمْ بِمُحِبِّينَ للهِ ، واللهُ  لَيْسَ بِمُحِبٍّ لَكُمْ ؛ فَالمَحَبَّةُ مَنْفِيَّةٌ مِنَ الطَّـرَفَيْنِ.. فَالشَّأنُ فِي أنَّ اللهَ يُحِبُّكُمْ لا فِي أنَّكُمْ تُحِبُّونَـهُ؛ وَهَذَا لا تَنَالُونَهُ إلاَّ بِٱتِّباعِ الحَبِيبِ » ))([[194]](#footnote-193))..

يَقُـولُ ٱبنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الآيَـةِ المُبارَكَةِ: (( هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى أنَّ كُلَّ مَنِ ٱدَّعَى مَحَبَّةَ اللهِ، وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ المُحَمَّدِيَّةِ؛ فَإنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْواهُ فِي نَفْسِ الأمْرِ.. حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ المُحَمَّديَّ وَالدِّيـنَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أقْوالِهِ وَأفْعَالِهِ وَأحْوَالِهِ ))([[195]](#footnote-194))؛ ذَلِكَ أنَّ (( حُبَّ اللهِ لَيْسَ دَعْوىً بِاللِّسَانِ، وَلا هِيَامَاً بِالـوِجْدَانِ إلاَّ إنْ يُصَاحِبَهُ الاتِّباعُ لِرَسُولِ اللهِ »، وَالسَّيرُ عَلَى هُدَاهُ ، وَتَحقِيقُ مَنْهَجِهِ فِـي الحَيَاةِ .. وَأنَّ الإيْمانَ لَيْسَ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، وَلا مَشَاعِرَ تَجِيشُ، وَلا شَعَائِـرَ تُقَامُ.. وَلكِنَّهُ طَاعةٌ للهِ وَالرَّسُولِ، وَعَمَلٌ بِمَنْهَجِ اللهِ الَّذِي يَحْمِلُهُ الرَّسُولُ ))([[196]](#footnote-195))..

مِـنْ أجلِ ذَلِكَ كَانَ «**الاتِّباعُ**» دَلِيلَ مَحَبَّةِ اللهِ ، وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ».. وَالحُبُّ المَطْلوبُ شَرْعاً يَخْتَلِفُ عَنِ الحُبِّ بِمَفْهُومِهِ الضيِّقِ.. إنَّ الحُبَّ المُرَادَ للهِ فِي التَّكْلِيفِ هُوَ الحُبُّ العَقليُّ، وَلَيْسَ الحُبَّ العَاطِفِيَّ؛ فـإنَّ الثَّانِي لا ضَابِطَ يَحْكُمُهُ، وَلا يُمكِنُ أنْ يُقنَّنَ لَهُ ..

وَقَدْ أدْرَكَ ذَلِكَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ  فَقَالَ - بَعْدَ أنِ ٱستَوفَى شُرُوطَ الحُبِّ المَطْلُوبَةِ مِنهُ شَرْعاً لِرَسُولِ اللهِ »، وَبَعدَ أنِ ٱنتَصَرَ عَلَى نَفْسِهِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ تَسْمَحُ لِسِوَاهَا بِالأولَوِيَّةِ عَلَيْها - قَـالَ: «**الآنَ يَـا رَسُولَ اللهِ**»؛ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ »: «**الآنَ يَـا عُمَرُ**»([[197]](#footnote-196)).. (( فَهَذِهِ هِيَ الصُّورَةُ الحَقِيقِيَّةُ الَّتِي يَتَمثَّلُ فِيهَا الإيْمانُ.. هَذِهِ هِيَ صُورةُ النَّشْأةِ الحَقِيقِيَّةِ ، وَالوُجُودِ الحَقِيقِيِّ لِهَذَا الدِّينِ.. إنَّهُ لا يَوجَدُ بِمُجرَّدِ إعْلانِ القَاعِدةِ النَّظَرِيَّةِ، وَلا بِمُجَرَّدِ ٱعْتِنَاقِهَا، وَلا حَتَّى بِمُجرَّدِ القِيامِ بِالشَّعَائِرِ التَّعبُّدية فيها))([[198]](#footnote-197)).. (( إنَّ الاتِّباعَ لا يَكُونُ إلاَّ فِي السُّلُوكِ.. فَإنْ كُنْتَ تُحِبُّ رَسُولَ اللهِ »؛ فَعَلَيْكَ أنْ تَرَى مَاذَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ اللهِ »، وأنْ تَفْعَلَ مِثلَهُ.. أمَّا إذا كُنتَ تَدَّعِي هَذَا الحُبَّ، وَلا تَفْعَلُ مِثلَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ » فَهَذا عَدَمُ صِدْقٍ فِي الحُبِّ ))([[199]](#footnote-198)).. يَقُولُ ٱبنُ القيِّم: (( المَحبَّةُ تَقْتَضِي بَذلَ المَجْهُودِ مِنْ أجلِ رِضَا المَحْبُوبِ.. والصِّدقُ فِي المَحَبَّةِ لا يَكُونُ إلاَّ عَنْ عِلْمٍ صَحِيحٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ ، وهَدْيِ رَسُولِهِ » ))([[200]](#footnote-199)) ..

لِهَذَا؛ فَـإنَّ «**الاتِّبَاعَ**» يُشكِّلُ حَجَراً أسَاسَاً فَِي عَقِيدَةِ المُؤمِنِ، وَصِفةً مِنْ صِفاتِهِ الَّتِي يَكْمُلُ بِهَا خُلُقُهُ، وَوَاحِدَاً مِنَ الأُسُسِ الَّتِي يَتَوقَّفُ عَلَيهَا صّدْقُ إيمانُهُ.. وَيَنْتَفِي عَنْهُ - بِفَقْدِهَـا - ذَلِكَ الوَصْفُ العَظِيمُ «**الإيْمانُ**»؛ يَقُولُ :  فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً([[201]](#footnote-200))؛ وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَـإنَّ مَنْ تَحَقَّقَ فِيهِ وَصْفُ الإيْمَانِ فَإنَّـهُ - حَتْماً- قَدْ تَحقَّقَتْ فِيهِ صِفَةُ الاتِّبَاعِ .. كَمَا أنَّ «**الاتِّبَاعَ**» سَبَبُ دُخُولِ الْجَنَّةِ، والنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ  عَلَى لِسَانِ مَلائِكتِهِ:  فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ([[202]](#footnote-201)).. وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: (( كُـلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجنَّةَ إلاَّ مَنْ أبَى.. قَالُوا: وَمَنْ يأْبَى يَا رَسُولَ اللهِ ؟! قَالَ »: مَـنْ أطَاعَنِي؛ دَخَلَ الجنَّةَ.. وَمَـنْ عَصَاني؛ فَقَدْ أبَى..))([[203]](#footnote-202))..

(( يَزْعُمُ بَعْضُ النَّاسِ أنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ وَلَكِنَّهُمْ لا يَتَّبِعُونَ شَيئَاً مِنْ أوَامِـرِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَلا يَلْتَزِمُونَ جَادَّةَ الطَّاعَةِ، وَتَـرَاهُمْ فِي وَادٍ ، وَأحْكَامَ الشَّرْعِ فِي وَادٍ آخَرَ !! وَمِثلُ هَذَا المَوقِفِ لَونٌ مِنْ ألْوَانِ التَّنَاقُضِ الَّذِي لا يُقِـرُّهُ شَرْعٌ وَلا عَقلٌ، ونَوعٌ مِنْ أنْـوَاعِ الازْدِوَاجِيَّةِ المَمْقُوتَةِ الَّتِي يَلْبَسُ فِيهَا الإنْسَانُ لِبَاسَيْنِ، وَيَتَحَلَّى بِحُلَّتَيْنِ !! فَمِنْ أهَمِّ رَكَائِـزِ المَحَبَّةِ إظْهَارُ الطَّاعَةِ، والانْقِيَادُ لِلأوَامِـرِ الإلَهِيَّـةِ !! ))([[204]](#footnote-203)).. جَاءَ عَنِ الحَسَنِ البَصْرِيِّ (رَحِمَهُ اللهُ) أنَّهُ قَالَ: (( زَعَمِ بَعْضُ النَّاسِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ » أنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللهَ ؛ فَأرَادَ اللهُ أنْ يَجْعَلَ لِقَوْلِهِمْ تَصْدِيقَاً مِنْ عَمَلٍ.. فَمَنِ ٱدَّعَى مَحَبَّتَهُ، وَخَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِهِ؛ فَهُوَ كَذَّابٌ، وَكِتَابُ اللهِ يُكَذِّبُهُ !! وَإذَا رَأيْتَ مَنْ يَذْكُرُ مَحَبَّةَ اللهِ ، وَيُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ مَعَ ذِكْرِهَا وَيَطْرَبُ وَيَنْعَرُ وَيُصْعَقُ؛ فَلا تَشُكَّ فِي أنَّهُ لا يَعْرِفُ مَا اللهُ ؟!! وَلا يَدْرِي مَا مَحَبَّةُ اللهِ ؟!! ... وَحَمْقَى العَامَّةِ عَلَى حَوَالَيْهِ قَدْ مَلأوُا أدْرَانَهُمْ بِالدُّمُوعِ ؛ لِمَا رَقَّقَهُمْ مِنْ حَالِهِ !!! ))([[205]](#footnote-204))..

خُلاصَةُ مَا تَقَدَّمَ أنَّ (( المَحَبَّةَ للهِ وَطَاعَتَهُ، وَالقِيَامَ بِالتَّكْلِيفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ أمْرَانِ مُتَلازِمَانِ؛ فَالطَّاعَةُ لازِمَةٌ لِلمَحَبَّةِ.. وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ مَا يَجْرِي عَلَى ألْسِنَةِ بَعْضِ مُدَّعِي التَّصَوُّفِ مِنْ أنَّ المَحَبَّةَ للهِ إذَا وَصَلَتْ إلَى أعلَى دَرَجَاتِهَا؛ سَقَطَ التَّكْلِيفُ بِالأعْمَالِ الظَّاهِرَةِ !!! بَلْ إنَّ المَحَبَّةَ البَالِغَةَ تَزِيدُ الطَّاعَةَ تَثْبِيتَاً.. وَأحَبُّ خَلْقِ اللهِ إلَيْهِ، وَأكْثَرُهُمْ مَحَبَّةً لَهُ  هُـوَ aٌ رَسُولُ اللهِ ».. وَمَـا قَصَّرَ فِي تَكْلِيفٍ قَطُّ ، وَلا يُتَصَوَّرُ مِنْهُ ذَلِكَ، وَقَدْ طَالَبَهُ اللهُ  بِأكْثَرِ مِمَّا طَالَبَ غَيْرَهُ ... ))([[206]](#footnote-205))..

لِذَا فَإنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللهِ » - الَّتِي هِيَ جُزْءٌ مِنْ مَحَبَّةِ اللهِ  وَفَرْعٌ عَنْهَا - لا يُمْكِنُ أنْ تَكُونَ إلاَّ بٱجتِنَابِ شَهَواتِ النَّفْسِ وَرَغَباتِها، وَإيثَـارِ حُبِّ رَسُولِ اللهِ » وَطَاعَتِهِ.. (( وَيَتَبيَّنُ هَذا إذَا تَعَارَضَ أيُّ أمْـرٍ أمَرَ بِهِ الرَّسُولُ » مَعَ رَغْبةٍ مِنْ رَغَباتِ النَّفْسِ؛ فأيُّهُمَا تَقَدَّمَ كَانَ الحُكْمُ لَهُ ))([[207]](#footnote-206)).. جَاءَ فِي «فَتْحِ البَارِي» فِي شَرْحِ حَدِيثِ «لا يُؤمِنُ أحَدُكُم؛ حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ»: ((... وَعَنْ بَعْضِ الزُّهَّـادِ: «تَقْدِيـرُ الكَلامِ: لا تَصْدُقُ فِي حُبِّي؛ حَتَّى تُؤْثِـرَ رِضَايَ عَلَى هَوَاكَ، وَإنْ كَانَ فِيهِ الهَلاكُ» ))([[208]](#footnote-207)).. وَعَلَى هَذَا الأسَاسِ يُمْكِنُ لَنَا تَقْسِيمُ المَحَبَّةِ إلَى دَرَجَتَيْنِ، هُمَـا :-

الأولى/ فَـرْضٌ، وَهِيَ المَحبَّةُ الَّتِي تَبْعَثُ عَلَى ٱمْتِثَالِ أوَامِرِهِ ، والرِّضَا بِمَا يُقدِّرُهُ .. وَتَقْتَضِِي قَبُولَ مَـا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ » مِنْ رَبِّهِ، وتَلَقِّيهِ بِالمَحَبَّةِ وَالرِّضَا والتَّعْظِيمِ وَالتَّسلِيمِ، وَعَدَمَ طَلَبِ الهُدَى مِنْ غَيْرِهِ ٱلْبتَّه، وَالانْتِهَاءَ عَنْ مَعَاصِيهِ.. ثُـمَّ حُسْنَ الاتِّبَاعِ لَهُ؛ وَذَلِكَ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أمَرَ، وتَصْديقِهِ فِيمَا أَخْبرَ، وٱجْتِِنابِ مَـا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ مِنَ ٱلمُحَرَّماتِ.. وَقَدْ بَيَّنَ سعيد حوَّى فِي تَفسِيرِهِ بِأنَّ حُبَّ اللهِ  يَكُونُ مِنْ خِلالِ طَاعَتِهِ وَإيثَارِ رِضَاهُ ، وَالسَّيرِ فِي الطُّرُقِ المُؤَدِّيَةِ إلَى مَحَبَّتِهِ، وَالتَّخَلِّي عَنِ الطُّـرُقِ الَّتِي تُؤَدِّي إلَى بُغْضِهِ  ([[209]](#footnote-208))، أيْ أنَّ (( المَحَبَّةَ الصَّحِيحَةَ تَقْتَضِي المُتَابَعَةَ وَالمُوَافَقَةَ فِي حُبِّ المَحْبُوبَاتِ، وَبُغْضِ المَكْرُوهَاتِ !! ))([[210]](#footnote-209))؛ وَإلاَّ كَانَ الأمْرُ كَمَا قَالَ أبُـو العَتَاهِيَة :-

تَعْصِي الإِلَهَ وأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هَذَا مُحَالٌ فِي القِيَاسِ بَدِيـعُ

لَـوْ كَانَ حُبَّكَ صَادِقاً لأطَعْتَهُ إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ([[211]](#footnote-210))

والثانية/ فَضْلٌ، وَهَذِهِ المَحبَّةُ تَقْتَضِي تَجَنُّبَ الوُقُوعِ فِي الشُّبُهَاتِ، وَالمُوَاظَبَةَ عَلَى النَّوافِلِ.. ولِلرَّسُولِ » تَقْتَضِي حُسْنَ التَّأسِّي وَٱلاقْتِدَاءِ بِسُنَّتِهِ » وَكَذَلِكَ الاعْتِنَاءَ بِسِيرَتِهِ، وَتَعْظِيمَهَ، وَتَوقِيرَهُ، وَالتَّخَلُّقَ بِأَخْلاقِهِ، وَمَحبَّةَ ٱسْتِمَاعِ كَلامِهِ »، وَإيثَـارَهُ عَلَى كَلامِ غَيْرِهِ مِنَ ٱلمخلُوقينَ([[212]](#footnote-211))؛(( وَلِذَلِكَ رُبِطَتْ هَذِهِ الآيَـةُ بِـالآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ([[213]](#footnote-212)).. وَهَذا فِيهِ دِلالةٌ عَلَى أنَّ عَدَمَ طَاعَةِ اللهِ وَالرَّسُولِ كُفْرٌ حَتَّى لَوْ زَعَمَ الإنْسَانُ مَحَبَّتَهُ للهِ  وَرَسُولِهِ » ))([[214]](#footnote-213))..

لِذَلِكَ جَعَلَ ٱبنُ تَيمِيَةَ «**الاتِّباعَ**، أوِ **ٱلمُتابعةَ**» أحَدَ ثَـلاثةِ أُصُولٍ لأهلِ مَحَبَّةِ اللهِ ، إذْ يَقُولُ: (( فَجُعِلَ حُبُّ العَبْدِ لِربِّهِ مُوجِبَاً وَمُقتَضِياً لاتِّبَـاعِ رَسُولِهِ.. وجُعِلَ ٱتِّباعُ رَسُولِهِ مُوجِباً وَمُقتَضِياً لِمَحَبَّةِ الرَّبِّ عَبْدَهُ .. فأهْـلُٱتِّبَاعِ الرَّسُولِ يُحِبُّهُمُ اللهُ، وَلا يَكُونُ حِبَّاً ([[215]](#footnote-214)) للهِ إلاَّ مَنْ يَكُونُ مِنْهُم ))([[216]](#footnote-215)).. (( وَبِهَذَا تَكُونُ مَحَبَّتُنا لِلرَّسُولِ » هِيَ الفَرْعُ ، بَيْنَمَا مَحَبَّتُنا للهِ  هِيَ الأصلُ؛ وَمِـنْ هُنا يُعلَمُ سَبَبُ عَدَمِ إسْلامِ كَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ » مَعَ إقْرَارِهِمْ بِصِدقِهِ وَمَحبَّتِهِمْ لَـهُ، إلاَّ أنَّهُمْ عَلِمُوا أنَّ هَذِهِ المَحَبَّةَ لا تَكُونُ حَقَّةً إلاَّ بِـالاتِّبَاعِ الحقِّ؛ ولِذلكَ لمْ يدْخُلُوا الإسْلامَ !! ))([[217]](#footnote-216))..

يَـقُولُ المَيْدَانيُّ فِي: «الأخْلاقِ الإسْلامِيَّةِ»: (( مَحَبَّةُ اللهِ  وَمَحَبَّةُ رَسُولِهِ » لا تَكُونُ صَادِقةً حَقَّاً؛ مَـا لَمْ تَكُنْ مُقتَرِنةً بِالامتِثَالِ وَالاتِّبَاعِ، وَالطَّاعَةِ وَالاقْتِدَاءِ.. فَمِنْ عَلامَاتِ صِدقِ الحُبِّ للهِ  طَاعَتُهُ وَٱمتِثَالُ أوَامِرِهِ وَنَواهِيهِ، وٱتِّبَاعُ رَسُولِهِ » فِيمَا جَاءَ بِهِ، وَالاقْتِداءُ بِهَدْيِهِ ))([[218]](#footnote-217)).. وَأَضَافَ تَحْتَ عُنْوانِ: «عَلامَاتُ صِدقِ حُبِّ العَبْدِ للهِ وَرَسُولِهِ، وَوَسائِلُ الظَّفَرِ بِمحبَّةِ اللهِ لِعبدِهِ» قائِلاً: (( لِلحُبِّ مَظَاهِرُ وعَلامَاتٌ، ومِنْ أبْـرَزِ مَظَاهِرِ حُبِّ العَبْدِ للهِ وَرَسُولِهِ: طَاعَتُهُمَا، وَٱتِّبَاعُ أوَامِرِهِما، وٱجْتِنَابُ نَوَاهِيهِمَا، وَالعَمَلُ بِمَا يُرضِيهِمَا، وَكَبْحُ جِمَاحِ أهْوَاءِ النَّفْسِ وَشَهَواتِهَا فِي ذَلِكَ.. أمَّـا ٱدِّعاءُ حُبِّهِمَا مَعَ مَعْصِيَتِهِمَا وَمُخَالَفَتِهِمَا، وَالعَمَلِ بِمَا يُسْخِطُهُما، وَٱتِّباعِ أهْـوَاءِ النَّفْسِ وشَهَواتِها؛ فَهُوَ أمْرٌ لا تَقْبَلُهُ العُقُولُ السَّلِيمَةُ، وَلا تَستَسِيغُهُ النُّفُوسُ البَـرِيئةُ مِنَ العِلَلِ... قَـالَ اللهُ  آمِـراً رَسُولَهُ aاً » أنْ  قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ  قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ([[219]](#footnote-218)) .. فَفِي هَذَا النَّصِّ القُـرآنيِّ يُبَيِّنُ اللهُ  أنَّ صِدْقَ مَحَبَّةِ العِبَادِ للهِ  تَستَلْزِمُ ٱتِّباعَ رَسُولِهِ » وَطَاعَتَهُ، وَأنَّ ٱتِّبَاعَ الرَّسُولِ وَسِيلةٌ يَظفُرُ بِهَا العِبادُ بِمَحبَّةِ اللهِ لهُمْ  قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ..

فٱتِّباعُ الرَّسُولِ لازِمٌ مِنْ لَوَازِمِ مَحَبَّةِ اللهِ ، وٱتِّبَاعُ الرَّسُولِ شَـرْطٌ ؛ جَزَاؤُهُ الظَّفَرُ بِمَحَبَّةِ اللهِ لِعَبْدِهِ .. وَيُوجَدُ جَزَاءٌ آخَرُ لِهَذَا الاتِّبَاعِ، وَهُوَ غُفْرانُ الذُّنُوبِ  وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ .. وَبِهَذَا الغُفْرانِ تَصفُو المَحَبَّةُ مِنْ مُنغِّصَاتِ الخَطِيئَةِ وَالمَعْصِيةِ.. أمَّـا الَّذِينَ يَتَولَّونَ عَنِ الاتِّباعِ والطَّاعةِ، فأُولَئِكَ هُمْ كَافِرُونَ، وَاللهُ لا يُحِبُّهُم؛ لأنَّهُ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ  قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ؛ إذْ هُمْ بِتَولِّيهِمْ وإعْرَاضِهِمْ يُبْعِدُونَ أنفُسَهُمْ عَنْ مَوَاقِعِ مَحَبَّةِ اللهِ، وَيَقْذِفونَ أنفُسَهُم فِي مَوَاقِعِ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ وَطَرْدِهِ !! ))([[220]](#footnote-219)).. وَلَمْ يَكُنْ تَسَاؤلُ نُوحٍ  عَمَّا آلَ وَٱنْتَهى إِلَيهِ مَصِيرُ ٱبنِهِ الغَرِيقِ إلاَّ بِسَبَبِ جَاذِبِيَّةِ المَحبَّةِ وَالشَّفَقةِ الَّتِي أوْدَعَها اللهُ  فِي قَلْبِ كُلِّ أبٍ .. تِلْكَ الجاذِبِيَّةُ الَّتِي جَعَلَتْ سيِّدَنا نُوحاً يَدْعُو رَبَّهُ فِي ٱبْنِهِ؛ وَلَكِنَّ اللهَ (جَلَّتْ حِكْمَـتهُ) وَعَظَهُ وَذكَّرهُ بِأنَّ المِقْياسَ عِنْدَهُ هُوَ العملُ الصَّالِحُ، وَلَيسَ مُجَرَّدَ ٱلانْتِسابِ إلَى هَذَا وَذَاكَ([[221]](#footnote-220)).. وَمِنهُ أيْضاً قَولُ الشَّاعِرِ :-

كَانَـتْ مَـوَدَّةُ سَلْمَانَ لَهُـْم رَحِمَـاً وَلَـمْ تَكُنْ بَيْـنَ نُـوحٍ وٱبنِـهِ رَحِـمُ([[222]](#footnote-221))

لَقدْ بيَّنَتْ الكَثِيرُ مِنَ الأحَادِيثِ الشَّرِيفةِ أنَّ المَرْءَ مَـعَ مَنْ أحَبَّ، وَلَـ(( طَالَمَا كَانَ هَذَا الحُبُّ سَبَبُهُ مَحَبَّةُ الأعْمَالِ الصَّالِحةِ وَأهلِهَا.. فَـالمحبَّةُ الصَّحِيحَةُ تَقْتَضِي مُشارَكَتَهُمْ فِي أصلِ عَمَلِهِم، وَهُوَ فِعلُ الوَاجِبَاتِ، وَتَركُ المُنكَرَاتِ؛ وَإنْ لَـمْ يَبلُغْ دَرَجَتَهُم فِي التَّقَرُّبِ إلَى اللهِ  ))([[223]](#footnote-222))؛ (( وَعَلَى هَذَا فَإنَّهُ لا بُدَّ أنْ يُصدِّقَ الاتِّبَـاعُ الحُبَّ؛ حتَّى يَكُونَ الإنْسَانُ مَعَ رَسُولِ اللهِ » فِي الجَنَّةِ.. أمَّـا التَّغَنِّي بِالحُبِّ دُونَ تَحقِيقِ الاتِّبَاعِ.. فَهَذا لا يُوصِلُ الإنْسانَ إلَى هَذِهِ المَرتِبةِ العَظِيمةِ ))([[224]](#footnote-223))، وَهَذَا قَدْ يُؤدِّي بِصَاحِبِهِ إلَى الدُّخُولِ فِي جُمْلةِ مَنْ قَالَ عَنْهُم :  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ  كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ([[225]](#footnote-224)).. يَقُولُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ: (( ٱبْـنَ آدَمَ، لا تَغْترَّ بِقَولِ مَنْ يقُولُ: المَرْءُ مَعَ مَنْ أحبَّ؛ إنَّهُ مَنْ أحَبَّ قَوْماً ٱتَّبَعَ آثَـارَهُمْ؛ ولَنْ تَلْحَقَ بِالأبْـرَارِ حَتَّى تَتَّبِعَ آثَارَهُم، وتأخُذَ بِهَدْيِهِم، وَتَقْتَدِيَ بِسُنَّتِهِمْ، وَتُصْبِحَ وَتُمسِي وَأَنْتَ عَلَى مِنْهَاجِهِم، حَرِيصاً عَلَى أنْ تَكُونَ مِنْهُم؛ فَتَسلُكَ سَبِيلَهُمْ، وَتَـأخُذَ طَرِيقَهُمْ ... أمَـا رَأيْتَ اليَهُودَ وَالنَّصارَى وَأهلَ الأهْواءِ المُرْدِيَةِ يُحِبُّونَ أنْبِياءَهُمْ، وَلَيْسُوا مَعَهُم ؛ لأنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِـي القَولِ وَالعَمَلِ، وَسَلَكُوا غَيْرَ طَرِيقِهِمْ ؛ فَصَارَ مَوْرِدَهُمُ النَّارُ ))([[226]](#footnote-225)).. (( فَمَنِ ٱتَّبَعَ قَوْماً وَأَحبَّهُمْ ؛ أُلْحِقَ بِهِمْ !! ))([[227]](#footnote-226))..

لَقَدْ كَانَ خِطَابُ الأنْبِياءِ  مِنْ أبْـرَزِ مَظَاهِرِ مَحبَّتِهِم لأقْوامِهِمْ؛ إذْ كَانَتْ تَبْرُزُ فِيهِ نَبْرةُ الشَّفَقةِ وَالرَّأفةِ وَالرَّحْمةِ؛ وَمَـا ذلِكَ إلاَّ طَمَعاً فِي هِدَايةِ تِلْكَ الأقْـوامِ.. وَمِنْ أمثِلَةِ هَذَا التَّلَطًُّفِ فِي التَّعَامُلِ وَالخِطَابِ قَولُ نَبِيِّنَـا »:  وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ([[228]](#footnote-227)).. وَمَـا أرْوَعَ المَثَلَ الَّذِي ضَرَبَهُ لَنَـا » يُبيِّنُ فِيهِ حبَّهُ الكَبِيرَ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَحِرصَهُ الشَّدِيدَ على أنْ يَـرَى أثَـرَ ذَلِكَ الحُبِّ مِنْ خِلالِ طَاعَتِهِ وٱتِّباعِ أوامِرِهِ !! وَلا غَرابَةَ فِي ذَلِكَ؛ فَهُوَ- بِـأبِي وأُمِّـي » - مَنْ أرسَلَهُ رَبُّـهُ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً([[229]](#footnote-228))، وَلَـمْ يُـرْسِلْهُ  إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ([[230]](#footnote-229)).. يَقُـولُ »: (( إنَّمَـا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ ٱستَوقَدَ نَـاراً؛ فَلَمَّا أضَاءَتْ مَـا حَولَهُ جَعَلَ الفَرَاشُ وَهذِهِ الدَوَابِّ - الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ- يَقَعنَ فِيهَا؛ فَجَعلَ يَنْزِعُهُنَّ، وَيغلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا.. فَأنَـا آخُذُ بِحَجْزِكُم عَنِ النَّارِ، وأَنْتُم تَقْتحِمُونَ فِيها!!))([[231]](#footnote-230)).. وَمَا دُعَاؤُهُ » فِي أَحلَكِ الظُّرُوفِ وأشدِّهَـا عَلَيهِ وَطْأةً يَوْمَ الطَّائِفِ إلاَّ كَلِمَاتٍ يَعْجزُ كُتَّابُ الحُبِّ - وَلَوْ ٱجتَمَعُوا - أنْ يأتُـوا بِمِثلِهَا إيْجَازاً، وَصِدقاً، وَرِقَّةً، وَدِلالةً.. (( **اللهُمَّ ٱهْدِ قَوْمِي؛ فإنَّهم لا يَعلَمُونَ !!** ))([[232]](#footnote-231)) !!

وَمِنْهُ أيْضَاً خِطَابُ أبِي الأنْبِياءِ وَخَلِيلِ الرَّحْمَنِ إبْـراهِيمَ  ؛  إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً  يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً  يَا أَبَتِ لا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيّاً  يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً ([[233]](#footnote-232)).. (( حَيْثُ خُصَّ أبُـو إبْراهِيمَ بِالذِّكْرِ قَبْـلَ ذِكْرِ قَوْمِهِ - وَمَـا هُوَ إلاَّ وَاحِدٌ مِنْهمُ - ٱهْتِمَامَاً بِذِكْرِهِ ))([[234]](#footnote-233)).. (( وَلَعلَّهُ يُمْكِنُ لِلمُتأمِّلِ أنْ يَستَنْبِطَ مِنْ خِلالِ الآيَاتِ أنَّ مِنْ تَمَامِ هِدَايةِ هَذَا النَّبيِّ، وَتَمَامِ رُشْدِهِ أنْ بَدَأََ بِأبِيهِ، ثُـمَّ قَومِهِ .. وَهَذَا عَيْنُ الحِكْمةِ؛ فَحِينَ يُؤمِنُ الأَبُ تَسقُطُ حُجَّةُ الاحتِجَاجِ بِهِ!! كَمَا أنَّ إيمانَهُ وَسِيلةٌ لإيمَانِ غَيْرِهِ .. وَلَكِنْ فِي المُقابِلِ، إذا لمْ يُؤمِنِ الأبُ فَإنَّ القَومَ - فِي الغَالِبِ - لا يُؤمِنُونَ !! فَمَا بَالُكَ بِالأبْعَدِينَ ؟!! فعَدَمُ إيمانِهِمْ مِنْ بابِ الأَوْلَى؛ وَذَلكَ لأنَّهُمْ سَيَقُولُونَ: إذَا لَمْ يَسْتَجِِبْ لَهُ أبُـوهُ وَقَومُهُ العَارِفُونَ بِهِ؛ فَنَحْنُ أقربُ إلَى عَدَمِ الاسْتِجابةِ ...

إنَّ البَدْءَ بِالآبَـاءِ يَقْطَعُ الطَّرِيقَ عَلَى أُولَئِكَ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ إذَا وُوجِهُوا بِالدَّعْوةِ إلَى التَّوحيدِ ٱعتَذَروُا بِالآبَـاءِ .. وَالحَاصِلُ مِنْ الكَلامِ أنَّ الأنْبِياءَ  - وإبْـرَاهِيمُ أحَدُهُم - قَدْ أُمِرُوا بِالبَدْءِ بالأقْرَبِينَ؛ وَأقْـرَبُ الأقْرَبِينَ الأبُ .. وَمِنْ ثَـمَّ الانْطِلاقِ إلَى تَوْسِيعِ دَائِـرَةِ الدَّعْوةِ .. وَهَذَا مَنْهَجٌ يَجِبُ أنْ يَقْتَدِيَ بِهِ الدُّعاةُ فِي ٱلبَدَاءةِ بِنُفُوسِهِمْ .. ثُـمَّ أقْرَبِ النَّاسِ إلَيْهِمْ مِنْ وَالِدٍ ، أوْ أُسْـرةٍ ، ثُـمَّ الخُرُوجِ إلَى الْمُجتَمَعِ ؛ وَبِذلَكَ يَسِيرُ المَرْءُ بِحَسَبِ المَنْهجِ النَّبَوِيِّ فِي الدَّعْوةِ إلَى اللهِ )) ([[235]](#footnote-234))..

وَقَـالَ عَنْهُ  فِي مَوقِفٍ آخَرَ عِنْدَما أدْرَكَ أنَّ العَذَابَ نَـازِلٌ - لا مَحَالةَ - بِسَاحةِ قَوْمِ لُوطٍ ، وَقَابَـلَ - بَـلِ ٱستَضَافَ - رُسُـلَ الجبَّارِ(جَلَّتْ قُدْرَتهُ) الَّذِينَ أُوكِلَتْ إلَيْهِِم هَذِهِ المَهَمَّةُ، قَـالَ:  فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ  إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ([[236]](#footnote-235)) !! ولْنَستَمِعْ إلَى خِطَابِ نُوحٍ  لِقَوْمِهِ إذْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ  أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ  يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُ نُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ([[237]](#footnote-236)).. وقالَ أيْضاً:  لا تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ([[238]](#footnote-237)).. وَمَا أَرَقَّ، وَمَا أرْأفَ، وَمَـا ألْيَنَ مَا قَالَهُ صَاحِبُ «**يـس**» حِينَمَا قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ ([[239]](#footnote-238)) !!!

(( وَكَذَلِكَ سَائِـرُ خِطَابِ الأنْبِياءِ لأُمَّتِهِم فِي القُرآنِ إذَا تأمَّلْتَهُ؛ وَجَدتَهُ أَلْيَنَ خِطَابٍ وَأَلْطَفَهُ ))([[240]](#footnote-239))؛ وَمَا هَذَا اللِّينُ وَاللُّطْفُ إلاَّ مِنْ حِرْصِ الأنْبِياءِ عَلَى هِدَايَةِ أقْوامِهِمْ وَمَحبَّتِهِمْ لَهُمْ !! (( إنَّ دُعَاءَ الأنْبِيَاءِ وَدَعْوتَهُمْ لأقْوامِهِمْ لا يُعبِّرانِ إلاَّ عَنْ حُبِّهِم إيَّاهُمْ ، وَعَنْ رَغْبَتِهِمْ فِي هِدَايَتِهِم وَإيمَانِهِمْ .. وَلَيْسَ مِنْ شَكٍّ أنَّ الأنْبِياءَ يُحِبُّونَ وَيَرْغَبُونَ فِي إيمَانِ النَّاسِ جَمِيعاً وَهِدايتِهِمْ إلَى الحَقِّ... وَلَـوْ تَحقَّقَ كُلُّ مَا يَرْغَبُ بِهِ الأنْبِياءُ ؛ لَمَا وُجِدَ عَلَى ظَهْرِهَـا كَافِرٌ وَلا مُجْرِمٌ، وَلَمَا قَاسَى رُسُلُ اللهِ مِنَ الكُفَّارِ وَالفُجَّارِ مَا قَاسَوهُ ))([[241]](#footnote-240)).. إنَّ حُبَّ الأنْبِياءِ  لأُمَمِهِمْ كَانَ حُبَّاً عَمِليَّـاً مُتَرجَمَاً بِدَعْوَتِهِمْ إلَى البِـرَّ والخَيْرِ وَالتَّوحِيدِ .. كَانَ حُبَّـاً مُستَصْحِباً مَعَهُ بُـرْهانَ صِدقِهِ .. كَانَ حُبَّاً نَـازِلاً إلَى أرْضِ الوَاقِـعِ المُؤلِمِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِي وَسَطِهِ أُولَئِكَ الأنْبِياءُ .. كَانَ حُبَّـاً يُحِسُّ حَجْمَ الألَـمِ المُعَانَاةِ وَالخُسْرَانِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِهِمِ، ويَنْـزِلُ بِسَاحَتِهِمْ فِي القَرِيبِ العَاجِلِ قَبلَ الآجِلِ؛ إنْ هُمُ ٱستَمَرُّوا عَلَى غيِّهِمْ وَضَلالَتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ وَإعْراضِهِمْ وَٱستِكْبارَِهِمْ، وَتَمادَوا فِي خَبْطِ العَشْواءِ الَّتِي هُمُ فِيهَا.. كَانَ حُبَّـاً يُحَاوِلُ جَاهِداً تَقْوِيمَ الأَوَدِ .. كَانَ حُبَّـاً يُـريدُ الإِصْلاحَ مَا ٱستَطَاعَ إلَى ذَلِكَ سَبِيلاً !!

لِذَلِكَ؛ فَقَدْ مَدَحَ اللهُ أنْبِياءَهُ الكِرَامَ عَلَى سَعْيِهِمُ المَشكُورِ هَذَا.. وَكَانَ مِنْ جُملَتِهِم نَبِيُّهُ إسْماعِيلَ ؛ لأُمُورٍ كَثِيرةٍ ، وَخِصَالٍ نَبِيلَةٍ كَانَتْ فِيهِ ، مِنْها- فَضْلاً عَمَّا تَقَدَّمَ - كَونُهُ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ ([[242]](#footnote-241)).. وَالَّذِي أرَاهُ أنَّ «الصَّلاةَ» و«الزَّكاةَ» هُنَـا كِنَايةٌ عَنْ كُلِّ أعْمالِ الخَيْرِ وَأبْوابِهِ الَّتي يَنْبَغي إنْ يَدْعُوَ المَرُءُ إلَيْها «**أهْـلَهُ**»[بِالمَعنَى القَريبِ والبَعِيدِ لِهذا المَفْهوم] .. فَإسْمَاعِيلُ  كَانَ يَـأْمُرُ أهلَهُ بِكُلِّ مَـا يُؤدِّي بِهِمْ إلَى الخَيْرٍ وَالصَّلاحِ .. وَكَذَلِكَ زَكَرِيَّـا  الَّذِي طَلَبَ الآيَةَ بَعْدَ مَـا أُوتِيَهَا؛ فَعَاقَبَهُ اللهُ بِأنْ لا يُكلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيَّاً([[243]](#footnote-242)).. ولكِنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ قِصَرِ هذِهِ الفَتْرةِ ، وَكَونِها ٱستِثنَائِيَّةً ؛ لَـمْ يَنتَظِرْ، وَلَمْ يَتَوانَ عَنْ دَعْوةِ «**أهْـلِهِ**» «قَوْمِهِ» إلَى الحَقِّ وَالبِرِّ وَالخَيْرِ، وَلَمْ يُثْنِهِ حَبْسُ لِسْانِهِ عَنِ ٱستِعْمَالِ الرَّمْـزِ وَالإشَـارةِ وَالإيمَاءِ فِي دَعْوتِهِمْ؛ وَذَلِكَ لأنَّهُ كَانَ يَـرَى - وَفِي ذَلِكَ دَرْسٌ بَلِيغٌ لِلدُّعَاةِ والمُصلِحِينَ - ألاَّ وَقْتَ لِلتَّأخِيرِ وَالتَّسْوِيفِ وَالإرْجَاءِ !! فَمَـا كَانَ مِنْهُ  إلاَّ أنْ خَرَجَ عَلَيهِمْ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً ([[244]](#footnote-243)) !!!

الَّذي أُرِيدُ قَولَهُ هُنَـا هُوَ أنَّ حُبَّ الرَّجُلِ لِـ«**أهْـلِهِ وآلِهِ**» بِالمَعْنَيَينِ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ لِهَذَا المَفْهُومِ الوَاسِعِ يَجِبُ أنْ يَكُونَ مُنطَلِقاً مِنْ قَـاعِدَةٍ صَحِيحةٍ، وَأنْ يَكُونَ مَبْنيَّاً عَلَى مَفَاهِيمَ وأُسُسٍ سَلِيمَةٍ، وَأنْ يَكُونَ مُعزَّزاً بِبَرَاهِينَ وَأدِلَّةٍ تُنَزِّهُهُ عَنِ اللَّهْوِ وَالعَبَثِ وَالادِّعَـاءِ .. تِلْكَ هِيَ الَّتِي تَتَجَاوَزُ مَرْحلةَ العَاطِفَةِ المُجَرَّدةِ وَالعَوَاطِفَ القَلْبِيةَ؛ وَتَنْزِلُ بِصَاحِبِهَا إلَى خِضَمِّ السَّاحَةِ وَمُعْتَرَكِ الحَيَاةِ ، يؤَدِّي فِيهَا دَوْرَهُ ، وَيُتِمُّ وَاجِبَهُ عَلَى الوَجْهِ الأكْمَلِ؛ مُنطَلِقاً مِنْ نَفْسِ القَاعِدَةِ الَّتِي رَسَمَها الأنبياءُ ، وَسَائِراً عَلَى ذَاتِ الأُسُسِ وَالمَفَاهِيمِ الَّتِي سَارُوا عَلَيْها.. وَذلِكَ هُوَ مَعْنَى قَولِهِ :  لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ([[245]](#footnote-244)).. وَقَولِهِ :  لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ([[246]](#footnote-245))..

قَـالَ :  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَة ُ([[247]](#footnote-246)).. إذْ أنَّ **”الأهْـل“** فِي هَذِهِ الآيَـةِ المُبارَكةِ (( هُمْ عائِـلَةُ الإنْسَانِ: مِنْ أَوْلادِهِ ، وَزَوْجتِهِ، وَإِخوانِهِ، وَمَنْ شَابَهَهُم ))([[248]](#footnote-247)).. وَالوِقَايةُ تَكُونُ (( بِتَركِ المَعَاصِي، وَفِعلِ الطَّاعَاتِ بِأَنْ تأْخُذُوهُمْ بِمَا تأْخُذُونَ بِهِ أَنفُسَكُم.. وَفِي الحَدِيثِ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلاً قَـالَ: يَـا «**أَهْـلاهُ**» صَلاتَكُمْ، صِيامَكُمْ، زَكاتَكُمْ، مِسْكِينَكُمْ، يَتيمَكُمْ، جِيرانَكُمْ ؛ لَعلَّ اللهَ أنْ يَجْمَعَهُمْ مَعَهُ فِي الجنَّةِ»!!([[249]](#footnote-248)).. وَقِيلَ: إِنَّ أشَدَّ النَّاسِ عَذَاباً يَومَ القِيامَةِ مَنْ جَهِل «**أَهْـلَهُ**»))([[250]](#footnote-249)).. وَكَانَ أَنَسُ بنُ مالِكٍ  إذَا خَتَمَ القُرآنَ جَمَعَ وِلْدَهُ و«**أَهْـلَ**» بَيْتِهِ؛ فَدَعَـا لَهُمْ ([[251]](#footnote-250)).. وَقَالَ : وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا([[252]](#footnote-251)).. وَقَدْ جَاءَ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ بَابٌ كَامِلٌ بِهَذَا الخُصُوصِ بِعُنْوانِ: «بَـاب قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً([[253]](#footnote-252))».. (( سُئِـلَ أبُو عَبْدِ اللهِ [جَعفَرُ بنُ مُحمَّد (رَحِمَهُ اللهُ)] عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: هَذِهِ نَفْسِي قَدْ وَقَيتُها، فَكَيفَ أَقِي «**أَهْـلي**»؟؟ قَالَ: تأمُـرُهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللهُ، وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ عَنْهُ، فَـإِنْ أطَاعُوكَ كُنْتَ قَدْ وَقَيْتَهُم، وَإنْ عَصَوْك كُنتَ قَدْ قَضَيْتَ مَـا عَلَيكَ ))([[254]](#footnote-253)).. يَقُولُ سيِّد قُطب فِي ظِلالِ هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمةِ وَمَـا تَلاهَا: (( يَهِيبُ القُرآنُ بِـالَّذِينَ آمَنُوا لِيُؤدُّوا وَاجِبَهُمْ فِي بُيُوتِهِمْ مِنَ التَّرْبيةِ وَالتَّوجِيهِ وَالتَّذْكِيرِ؛ فَيَقُوا أنفُسَهُم وَ«**أهْـلِيهِم**ْ» نَـارَاً... إنَّ تَبِعَةَ المُؤمِنِ فِي نَفْسِهِ وَفِي «**أهْـلِهِ**» تَبِعَةٌ ثَقِيلةٌ رَهِيبَةٌ.. فَالنَّـارُ هُنَاكَ، وَهُـوَ مُعتَرِضٌ لَهَا هُوَ وَ«**أهْـلُهُ**» !! وَعَليهِ أنْ يَحُولَ دُونَ نَفْسِهِ وَ«**أهْـلِهِ**»، وَدُونَ هَذِهِ النَّـارِ الَّتِي تَنتَظِرُ هُنَـاكَ... قَبلَ أنْ تَضِيعَ الفَرْحةُ، وَلا يَنْفَعُ الاعتِذَارُ..

فَهَـا هُمْ أُولاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَعتَذِرُونَ وَهُمْ عَلَيْها وُقُـوفٌ، فَلا يُؤْبَهُ لاعْتِذَارِهِمْ؛ بَـلْ يُجْبَهُونَ بِالتَّيْئِيسِ.. فَكَيْفَ يَقِي المُؤمِنُونَ أنفُسَهُمْ ووَ«**أهْـلِيهِم**» مِنْ هَذِهِ النَّارِ؟؟ إنَّهُ  يُبيِّنُ لَهُمُ الطَّرِيقَ، وَيُطمِعُهُمْ بِالرَّجَاءِ... تَوبةٌ نَصُوحٌ تَنْصَحُ القَلْبَ وَتُخلِصُهُ، ثُـمَّ لا تَغِشُّهُ وَلا تَخْدَعُهُ .. تَـوبَةٌ عَنِ الذَّنْبِ وَالمَعْصِيةِ، تَبْداُ بِالنَّدمِ عَلَى مَـا كَانَ.. وَتَنْتَهِي بِالعَمَلِ الصَّالِحِ بَعْدَها؛ فَهَذِهِ هِيَ التَّوبةُ النَّصُوحُ، التَّوبةُ الَّتِي تَظلُّ تُذَكِّرُ القَلْبَ بَعْدَهَـا وَتَنْصَحُهُ فَـلا يَعُودُ إلَى الذُّنوب.. ))([[255]](#footnote-254)).. وَفِي هَذِهِ الآيَـةِ المُبارَكَةِ (( خِطَابٌ مِنَ اللهِ  لِلمُؤْمِنينَ بأَنْ يَقُوا وَيَمْنَعوا أَنفُسَهُم و«**أَهْـلِيهِمْ**» نَـاراً؛ وَإِنَّمَـا يَمْنَعُونَ نُفُوسَهم بِـأَنْ يَعْمَلوا الطَّاعَاتِ.. ويَمْنَعُونَ «**أَهْـليهِمْ**» بِأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَيْها وَيَحُثُّوهُمْ عَلَى فِعْلِها؛ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أنَّ الأَمْـرَ بِالمَعْروفِ والنَّهْيَ عَـنِ المُنكَرِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ لِلأَقْربِ فَالأَقْـرب ))([[256]](#footnote-255)).. وَ(( لَعَـلَّ تَخْصِيصَ «**الأَهْـلِ**» لِكَوْنِهِمُ الأُسْوةَ ؛ وَلِغَرَضِ تَعلِيمِ المُسلِمِينَ أنَّ الوَاجِبَ عَلَى المُسلِمِ أَنْ يَبْدأَ بِـ**«أَهْـلِهِ»**))([[257]](#footnote-256)).. وَمَعْنَى الآيَـةِ الكَرِيمَةِ: مُـرُوهُمْ بِالخَيْر، وَٱنْهَـوْهُم عَنِ الشَّرِّ، وَعَلِّمُوهُمْ، وأدِّبوهُمْ.. وَقِيـلَ: وَ«**أَهْـلِيكُم**» بِـأَنْ تأْخُذُوهُمْ بِمَا تأْخُذُونَ بِهِ أَنفُسَكُم .. تَقُوهُمْ بِذَلِكَ نَارَاً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ([[258]](#footnote-257)).. فَـوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ أنْ يُعلِّمَ «**أَهْـلَهُ**» مَا بِهِمُ الحَاجَةُ إِلَيهِ مِنْ أمْرِ دِينِهِمْ، وَيأمُـرَهمْ بِهِ، وَوَاجِبٌ عَلَيهِ أنْ يُؤدِّبَهُم، وَأَنْ يَنْهاهُمْ عَنْ كُلِّ مَـا لا يَحِلُّ لَهُمْ، وَيُوقِفَهُمْ عَلَيهِ، وَيَمنَعَهُم مِنهُ ))([[259]](#footnote-258)).. قَـالَ زَيْدُ بنُ أَسلمَ : (( لَمَّـا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيةُ، قَالُـوا: يَـا رَسُولَ اللهِ، هَذا وَقَينَا أَنفُسَنا، فَكَيفَ بِـ«**ِأهْـلِينَا**» ؟؟ قَـالَ »: تأْمُرُونَهُم بِطَاعَةِ اللهِ ، وَتَنْهَونَهُم عَنِ مَعاصِي اللهِ ))([[260]](#footnote-259))..

إِنَّ مِنْ وَاجِبِ الأبنَاءِ عَلَى آبَائِهِم هُوَ تَرْبِيتُهُمْ وَتَعلِيمُهُمْ وَتَهْذِيبُهُمْ، وَهَذَا وَاجِبٌ تُملِيهِ المَحَبَّةُ كَدَلِيلٍ عَلَيهَا، وَكَبُرهانِ صِدْقٍ؛ فَالآبَـاءُ هُمُ الَّذِينَ يَكُونُونَ - فِي الغَالِبِ - سَبَباً فِي هِدَايةِ أبْنَائِهِم بَعْدَ تَوْفِيقِ اللهِ  ([[261]](#footnote-260)).. كَمَا أنَّهُ (( مِنَ الوَاضِحِ أنَّ الأمْرَ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهْيَ عَنِ المُنكَرِ فَرِيضةٌ عامَّةٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَلا تخُصُّ بَعْضَنا دُونَ آخَرَ.. غَيرَ أنَّ مَسْؤُولِيةَ الإنْسَانِ تُجَاهَ زَوْجتِهِ وأبْنَـائِهِ آكَدُ مِنْ غَيْرِهَا وَأشدُّ إِلزَاماً.. كَمَا يَتَجلَّى ذَلِكَ مِنْ خِلالِ الآيَاتِ وَالرِّوايَاتِ العَدِيدةِ الَّتِي تَدْعُو الإِنْسانَ لأنْ يَبْذُلَ جُهْدَه لِتَرْبيةِ «**أهْلِهِ**»، وَتَعلِيمِهِمْ، وَنَهْيهِمْ، عَنِ ٱرتِكَابِ الذُّنُوبِ، وَحثِّهِمْ عَلَى ٱكْتِسَابِ الخَيْراتِ.. وَلا يَنْبَغِي أنْ يَقْنعَ وَيَكْتَفِيَ بِتَوفِيرِ الغِذَاءِ الجِسْمِيِّ لَهُمْ .. وَ(( لَعَلَّ القُرآنَ الكَرِيمَ - بِنَقلِهِ وَصِيةَ إبْـرَاهِيمَ  لِبَنيهِ - يُرِيدُ أنْ يَقُولَ لِلإنْسانِ أنَّهُ مَسْؤولٌ عَنْ مُستَقْبَلِ أَبْنائِهِ؛ وَعَلَيهِ أنْ يَهتمَّ بِمُستَقبلِهِمُ المَعْنَوِيِّ قَبلَ مُستَقْبَلِهِمُ المَادِّيِّ ))([[262]](#footnote-261)).. يَقُولُ صَاحِبُ «التَّفْسِيرِ الكَاشِفِ»: (( وَتُشْعِرُ هَذِهِ الآيَةُ بأنَّ الوَالِدَ مَسْؤولٌ عَنْ تَرْبِيةِ وَلَدِهِ وإرشادِهِ إلَى دِينِ الحَقِّ.. قَالَ الإمَامُ زَينُ العَابِدِينَ : «أمَّا حَقُّ وَلَدِكَ: فأنْ تَعلَمَ... أنَّكَ مَسؤُولٌ عَنْهُ مِنْ حُسْنِ الأدَبِ، وَالدِّلالَةِ عَلَى رَبِّهِ ، وَالمَعُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ .. فَٱعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أنَّهُ مُثَابٌ عَلَى الإحْسَانِ إلَيْهِ، مُعَاقَبٌ عَلَى الإسَاءَةِ إلَيْهِ» ))([[263]](#footnote-262))..

وَلا تَخْفَى عَلَينا الصُّورةُ القُرآنيةُ الرَّائِعةُ فِي وَصِيةِ لُقمانَ لابْنِهِ؛ إذْ قَـالَ لهُ  وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ  ... يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ  وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ  وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ([[264]](#footnote-263)).. فَمِـنْ حِكْمتِهِ أنَّهُ (( بَدَأَ بإِصْلاحِ وَلَدهِ ؛ فَالـرَّجُلُ الحَكِيمُ الَّذِي يَهتمُّ بِخَاصَّةِ نَفْسِه قَبلَ العَامَّةِ.. وَهَذَا مِنْ صِفَاتِ الأنْبِياءِ ؛ فَـإنَّهُم يَبْدأُونَ بِدَعْوَةِ «**أهْـلِهِمْ**» وَأَولادِهِمْ، وإِصْلاحِهِمْ ))([[265]](#footnote-264)).. إذْ أنَّ هَذِهِ الصُّورةَ (( تُمثِّلُ النَّمُوذجَ الأمْثَـلَ لِلمَسْؤولِيةِ الَّتِي يَتَحمَّلُها الجِيلُ القَدِيمُ بِالنَّسبةِ إلَى الجِيلِ الجَدِيدِ فِيمَا يَتَمثَّـلُ فِي عَلاقَـةِ الآبَاءِ بِالأَبْناءِ ؛ فَقَدْ سَبَقُوهُمْ إِلَى التَّجْرِبَةِ فِيمَا تُوحِي بِهِ مِنَ المَعْرِفةِ، وإلى التَّأمُّـلِ فِيمَا يُوحِي بِهِ مِنَ العِلْمِ؛ ولِذلكَ فَقَدْ كانَ مِنَ الطَّبِيعِيِّ لِلجوِّ العَاطِفيِّ الحَمِيمِ أنْ يَعْمَدُوا إلَى ٱختِصَارِ المَـرْحلةِ الَّتِي يَحتَاجُ الأَبناءُ إِلَى أنْ يَقْطعُوهَـا فِي وَقتٍ طَوِيلٍ، وإلى تَقْديمِ التَّجْرِبةِ، وَتَحريكِ المَعْرِفةِ فِي حَيَاتِهِمْ ؛ لِيَبْدأوُا بِدَايةً طيِّبةً مِنَ المَوقِعِ الثَّابِتِ الصُّلْبِ، وَالقَائِـمِ عَلَى بِدايَاتِ الآخَرِينَ؛ لِئلاَّ يَحتاجُوا إلَى أنْ يَرْجِعُوا إلَى نُقطَةِ البِدَايةِ فِي ذَلِكَ كلِّهِ... وَهَذَا الَّذِي جَعَل لُقْمَانَ يَجلِسُ إِلى وَلَدِهِ ...))([[266]](#footnote-265))..

وَمَـا أرْوَعَ مَا قَصَّهُ اللهُ  عَلَينَا فِي كِتَابِهِ العَزِيزِ عَنْ خَلِيلِهِ إبْرَاهِيمَ  وَأبْنَائِهِ  إذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ  وَوَصَّى بِهَا إبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأنْتُمْ مُسْلِمُونَ  ... إذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ المَوتُ إذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إلَهَكَ وَإلَهَ آبَائِكَ إبْرَاهِيمَ وَإسْمَاعِيلَ وَإسْحَاقَ إلَهَاً وَاحِدَاً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ([[267]](#footnote-266)).. إذْ أنَّهُ (( لَمَّا كَانَ مِنْ شَأنِ أهْـلِ الحَقِّ وَالحِكْمَةِ أنْ يَكُونُوا حَرِيصِينَ عَلَى صَلاحِ أنْفُسِهِمْ، وَصَلاحِ أُمَّتِهِمْ ؛ كَانَ مِنْ مُكَمِّلاتِ ذَلِكَ أنْ يَحْرصُوا عَلَى دَوَامِ الحَقِّ فِي النَّاسِ مُتَّبَعَاً مَشْهُورَاً ))([[268]](#footnote-267))..

وَبِمَا إنَّ المُجتَمعَ هُوَ عِبَارةٌ عَنْ عَدَدٍ مُعيَّن مِنْ وَحَداتٍ صَغِيرةٍ تُدْعَى «العائِـلَةُ»؛ فَإنَّ الاهتِمامَ بِالعائِلةِ، وَتَربيَتَها تَرْبيةً إِسْلامِيةً صَحِيحةً سَيَجْعلُ أمْـرَ صَلاحِ المُجتَمَعِ أسْهلَ وأيْسَرَ.. وَتَبـرُزُ هَذِهِ المَسْؤوليةُ أكثرَ، وَتَكْتسِبُ أهميَّةً خاصَّةً فِي العَصْرِ الرِّاهِنِ أكْثَرَ مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ الجَمَاعَةُ الإسْلامِيَّةُ الأُولَى الَّتِي كَانَ الأمْـرُ مَعَهَا أيْسَرَ مِمَّا هُوَ فِي أيَّامِنَا هَذِهِ !! فَإنَّنَا اليَومَ فِي مَوقِفٍ مُتَغَيِّرٍ؛ نَحْنُ اليَومَ نَعِيشُ فِي جَاهِلِيَّةٍ: جَاهِلِيَّةِ مُجتَمَعٍ، وجَاهِلِيَّةِ تَشْرِيعٍ، وَجَاهِلِيَّةِ أخْلاقٍ، وَجَاهِلِيَّةِ تَقَالِيدٍ، وَجَاهِلِيَّةِ نُظُمٍ، وَجَاهِلِيَّةِ آدَابٍ، وَجَاهِلِيَّةِ ثَقَافَةٍ كَذَلِكَ؛ إذْ تَجْتَاحُ المُجتَمَعَ مَوْجاتٌ مِنَ الفَسَادِ والضَّلالِ الخَطِرةِ الَّتِي تَحتَاجُ إلَى وَضْعِ بَرنَـامَجٍ دَقِيقٍ وَمَدْرُوسٍ لِتَـربِيةِ العَائِـلةِ؛ لِكَيْ تَستَطِيعَ مُواجهةَ هَذِهِ المَوْجاتِ دُونَ التأثُّرِ بِها، والانْجِرافِ مَعَ تيَّارِهَا.. فَنَارُ الآخِرةِ لَيْستْ هِيَ النَّارَ الوَحيدةَ الَّتِي يَكُونُ مَصْدَرَهَا الإنسانُ نَفْسُهُ ومَنْ دَاخَلَه.. وإنَّما نَـارُ الدُّنيا هِيَ الأُخرى تَستمِدُّ وُجُودَها مِنْ هَذَا الإنْسَانِ؛ لِهذا يَجِبُ عَلَى كُلِّ إنْسانٍ أنْ يَقِيَ نَفْسَهُ وَعَائِلتَهُ «**أهْـلَهُ**» مِنْ هذِهِ النَّارِ([[269]](#footnote-268))..

لِذَلِكَ كُلِّهِ فَقَدْ (( أكَّدَ اللهُ  عَلَى عَدَمِ غَفلَةِ المُؤمِنِينَ عَنْ مَوْعِظةِ أَنْفُسِهِمْ، وََمَوْعِظةِ «**أَهْـلِيهِمْ**»، وَأَنْ لا يَصُدَّهُـمْ ٱستِبقَاءُ الوُّدِّ وَالحُبِّ بَيْنَهُم عَنْ إسْداءِ النُّصْحِ لَهُم؛ لأَنَّ المَوْعِظةَ سَبَبٌ فِي تَجنُّبِ مَـا يُفْضِي إلَى عَذَابِ النَّـارِ))([[270]](#footnote-269)).. خَاصَّةً إذَا عَرَفَ المُـؤمِنُ بِأنَّهُ (( غَيْـرُ مَسْؤُولٍ أمَـامَ اللهِ عَنْ نَفْسِهِ فَحَسْبُ .. بَـلْ عَنْ «**أهْـلِهِ**» وَأولادِهِ ، وَأنَّ مِنْ وَاجبِهِ أنْ يمُدَّ يَدَهُ إلَى العَمَلِ عَلَى صَلاحِهِمْ وَتَـقْويمِهِمْ .. وَإذَا كَانَ الأبُ يَفْعلُ الكَثِيرَ مِنْ أجْـلِ وَلَدِهِ ؛ حِرْصاً عَلَيهِ وَعَلَى مُستقْبلِهِ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ الفَـانِيةِ.. فَـأَولَى لَهُ أنْ يَعْمَلَ لِسَعادتِهِ فِي الحَيَاةِ البَاقِيَةِ، وَأنْ يَقِيَهُ مَـا هُوَ أشدَّ مِنْ غَدَراتِ الـزَّمانِ وَضَرَباتِهِ ))([[271]](#footnote-270)).. رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ الفَضلِ  عَنِ النَّبِيِّ » أنَّهُ قَـالَ لِرَجُلٍ أَوصاهُ : ((... وَلا تَـرفَعْ عَصَاكَ عَنْ «**أهْـلِكَ**»، وَأخِفْهُمْ فِي اللهِ  ))([[272]](#footnote-271)).. وَرُوِيَ عَنْهُ » أنَّهُ قَالَ: (( عَلِّقْ سَوْطَك حَيْثُ يَـرَاهُ «**أهْـلُكَ**»))([[273]](#footnote-272)).. (( وَلَـمْ يُرِدْ بِذِكْرِ العَصَا هَاهُنا: العَصَا الَّتِي يُضرَبُ بِهَا؛ وإنَّمَـا أرَادَ الآدَابَ بِاللِّسانِ وَاليَدِ، وَبِما يَحْسُنُ الأدَبُ بِمِثْلِهِ.. يَصْنعُ فِي «**أهْـلِهِ**» كَمَا يَصْنعُ الوَالِي فِي رَعِيَّتِهِ ))([[274]](#footnote-273)).. (( وَالعَرَبُ تُكنِّي بِـالعَصَا عَنْ أشْياءَ كَثِيرةٍ ، مِنْهَا: الطَّاعَةُ، وَالأُلفةُ.. وَمِنْها: الإِخَافةُ، وَالشِّدَّةُ ))([[275]](#footnote-274))..

وَمِنْ مَظَاهِـرِ «**الحُبِّ**» أيْضَاً: تأْدِيَـةُ حُقُوقِ «**الأَهْـلِ**» وَوَاجِباتِهِمُ الدُّنيَوِيَّةِ وَالمَادِّيةِ، وَإعالتُهُمْ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ([[276]](#footnote-275)) كَمَا أوْصَى الله .. قَـالَ النَّبِيُّ »: (( الصَّدَقةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقةٌ [أي: صَدَقةٌ واحدةٌ] ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ٱثنَتانِ: صَدَقةٌ، وَصِلَةٌ )) ، يَعنِي أنَّ الصَّدَقةَ عَلَى الأقَـارِبِ، وَهُمْ الوَالِدانِ والقَرَاباتُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ أفْضَلُ؛ لأنَّهُ خَيْرانِ.. وَلا شكَّ أنَّهُما أفْضَلُ مِنْ واحِدٍ ([[277]](#footnote-276)).. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قالَ »: (( إذَا أَعْطَى اللهُ أحدَكُمْ خَيْراً؛ فَلْيَبْدأْ بِنَفْسِهِ و«**أهْـلِ بَيْتِهِ**» ))([[278]](#footnote-277)).. وَفِي مُعْجَمِ الطَّبَرانِيِّ: (( إذَا كَانَ أحدُكُمْ مُحتَاجَاً؛ فَلْيَبْدأْ بِنَفسِهِ؛ فَـإنْ كَانَ لَهُ فَضلٌ فَبِـ«**أهْـلِهِ**»؛ فَـإنْ كَانَ لَهُ فَضلٌ فَبِأقْـرِبائِهِ؛ فَـإنْ كَانَ لَهُ فَضلٌ فَهَاهُنَـا، وَهَاهُنَـا، وَهَاهُنَـا ))([[279]](#footnote-278)).. كَمَا قَـالَ » فِي حَدِيثٍ آخَرَ: (( مَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ نَفَقةً يَستَعِفُّ بِهَا؛ فَهِيَ صَدَقَةٌ.. وَمَنْ أَنفَقَ عَلَى ٱمْـرَأتِهِ وَوَلَدِهِ و«**أهْـلِ بَيْتِهِ**»؛ فَهِيَ صَدَقةٌ ))([[280]](#footnote-279)).. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مُمَاثِـلٍ عَنْ أبِي هُرَيرةَ  أنَّ النَّبِيَّ » قَالَ: (( دِينَارٌ أنْفَقتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينارٌ فِي المَسَاكِينِ، وَدِينارٌ فِي رَقَبةٍ، وَدِينارٌ فِي «**أهْـلِكَ**».. أَعْظمُها أَجْراً الدِّينَارُ الَّذِي تُنفِقُهُ عَلَى «**أهْـلِكَ**» ))([[281]](#footnote-280))..

وَمِنْ مَظَاهِرِ الحُبِّ لِـ«**الأهْلِ**» أيْضَاً: التَّناصُحُ مَعَهُمْ، وَتَبْصِيرُهُمْ بِأُمُورِ الدِّينِ، وَإسْدَاءُ النَّصِيحَةِ لَهُمْ بِمَـا يَعُودُ عَلَيهِمْ بِالنَّفعِ وَالخَيْرِ فِي العَاجِلةِ وَالآجِلَةِ([[282]](#footnote-281)).. عَـنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ  أنَّ النَّبِيَّ » قَالَ: (( الدِّينُ النَّصِيحَةُ .. قُلْنَا: لِمَن؟؟ قَالَ: للهِ، وَلِكِتابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ المُسلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ ))([[283]](#footnote-282)).. (( وَأمَّا النَّصِيحَةُ لأئِمَّةِ المُسلِمِينَ؛ فَمُعَاوَنتُهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَطَاعتُهُمْ فِيهِ، وَأمْرُهُمْ بِهِ... وَأمَّا نَصِيحَةُ عَامَّةِ المُسلِمِينَ - وَهُمْ مَنْ عَدَا وُلاةِ الأُمُورِ- ؛ فَإِرشَادُهُمْ لِمَصَالِحِهِمْ فِي آخِرَتِهِمْ وَدُنْياهُمْ ))([[284]](#footnote-283)).. وَفِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ إشَارَةٌ وَاضِحَةٌ إلَى أهَمِيَّةِ هَذَا الخُلُقِ فِي حَيَاةِ المُسلِمِينَ، وَإهَابَةٌ إلَى تَعْظِيمِهِ فِي قُلُوبِهِم، وَدَعْوةٌ إلَى تَفْعِيلِهِ فِي سُلُوكِهِم وَتَعامُلِهِمْ.. حَتَّى جَعَلَهُ » وَكَأنَّهُ الدِّينُ كُلُّه، كَمَا قَالَ »: «الحَجُّ عَرَفةُ»([[285]](#footnote-284))؛ لِذا فَالَّذِي أرَاهُ فِي قَـولِهِ :  يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ([[286]](#footnote-285)) أنَّ لَفْظَ **”الأهْـلِ“** فِي هَذِهِ الآيَـةِ الكَرِيمَةِ شَامِـلٌ لِمَعْنيَيْهِ القَرِيبِ - ”الزَّوْجَةِ، وَالأوْلادِ، وَالوَالِدَيْنِ، وَالأقْـرَبِينَ“ - والبعيدِ - ”عامَّةِ المُسلِمينَ“ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أنَّ أغلَبَ العُلَمَاءِ وَالمُفسِّرينَ الأجِلاَّءِ كانُـوا قَدْ قَصَرُوا هَذَا المَفْهومَ - وَكَما هُوَ واضِحٌ منْ تَفْسِيرَاتِهِمْ لِلآيَـةِ، وَتَعلِيقَاتِهِمْ عَلَيْها- ذلِكَ أنَّ الوِقَايةَ تتأتَّى مِنْ خِلالِ أسْبَابٍ علَّمَنا إيَّـاها دِينُنا السَّمْحُ الحَنِيفُ.. وَأهَـمُّ هَذِهِ الأسْبَابِ: الإيمَانُ، والعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالتَّواصِي بِهِ، وبِالحقِّ، وبِالصَّبْرِ.. وَلا يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ إلاَّ مِنْ خِلالِ «النَّصِيحةِ»..

والنَّصِيحَةُ فِي دِينِنَا لَيْستْ حِكْراً عَلَى الزَّوْجَةِ وَالأولادِ وَالأقَارِبِ؛ وإنَّمَا يَجِبُ عَلَى المُسلِمِ أنْ يُسدِيَ النُّصْحَ لِمَنْ يَعْرِفُ وَمَنْ لا يَعْرِفُ؛ مَا دَامَ يَجْمَعُهُمْ رِبَاطٌ واحِدٌ، هُوَ رِبَاطُ الدِّينِ وَالعَقِيدَةِ الَّذِي هُوَ أقْوَى وَأمتَنُ وَأدْوَمُ مِنْ رِبَـاطِ الدَّمِ وَالعَشِيرةِ .. وَقَدْ علَّمَنَا رَسُولُنَا الكَرِيمُ » أنَّ النَّصِيحَةَ تِلْكَ عامَّةٌ لِعامَّةِ **” الأهْلِ“** الَّذِينَ هُمْ عَامَّةُ المُسلِمِينَ.. قَالَ المَيْدَانِيُّ مُعلِّقاً عَلَى هَذَا الحَدِيثِ الشَّريفِ فِي مَعْرِضِ بَيَانِهِ لِلمَجَالاتِ الَّتِي يَشْمَلُهَا مَفْهُومُ العَطَاءِ ؛ ذَلِكَ الخُلُقُ الإسْلامِيُّ الرَّفِيعُ: (( وَتَتَنَوَّعُ المَجَالاتُ الَّتِي يَشْمَلُهَا العَطَاءُ ... وَمِنْها عَطَاءُ النَّصِيحَةِ؛ فَالإنْسانُ الجَوَادُ كَرِيمُ النَّفْسِ، لا يَبْخَلُ عَلَى أخِيهِ الإنْسانِ بِأيِّ نَصِيحةٍ تَنْفعُهُ فِي دِينِهِ، أوْ دُنْيَاهُ ، بَلْ يُعْطِيهِ نُصحَهُ الَّذِي يَنْفَعُهُ مُبتَغِياً وَجْهَ اللهِ ..

وَقَدِ ٱرتَقَى مَفْهومُ النَّصِيحَةِ عِندَ الرَّسُولِ » حَتَّى كَانَ مُساوِيَـاً لِلدِّينِ كُلِّهِ؛ ولِذلِكَ عَرَّفَ الرَّسولُ » «الدِّينَ» بِأنَّهُ «النَّصِيحَةُ»؛ فَقَـالَ: «الدِّينُ النَّصِيحةُ» ))([[287]](#footnote-286)).. وَيُضِيفُ [أي المَيْدانيُّ] مُبيِّنَـاً الثَّمَرةَ العَاجِلةَ والمَلْمُوسَةَ لِهَذَا الخُلُقِ العَظِيمِ، وَمَـا يَنْتُجُ عَنْهُ مِنَ اللُّحْمةِ الاجتِمَاعيَّةِ بَيْنَ أفْـرادِ المُجتَمَعِ المُسلِمِ: (( إنَّ ٱكْتِِسَابَ خُلُقِ حُبِّ العَطَاءِ يُولِّدُ لَدَى الفَرْدِ شُعُوراً بِأنَّهُ جُزءٌ مِنَ الجَمَاعةِ، وَلَيسَ فَرْداً مُنْعَزِلاً عَنْهُمْ إلاَّ فِي حُدُودِ مَصَالِحِهِ وَمَسْؤوليَّاتِهِ الشَّخصيَّةِ.. فَهُوَ - بِهَذا الشُّعُورِ النَّبِيلِ - يَجِدُ نَفْسَهُ مَدفُوعَاً إلَى مُشارَكَتِهِمْ فِي عَوَاطِفِهِمْ مُشارَكةً وِجْدانيَّةً، وَمُشارَكَةً مَادِّيَّةً .. فَيَفْرحُ لِفَرَحِهِمْ، وَيَحْزَنُ لِحُزنِهِمْ، وَيَتألَّمُ عِنْدمَا يَتَألَّمُونَ، وَيَنْشَرِحُ صَدْرُهُ إذَا وَجَدَهُمْ مُنْشَرِحِينَ، ويُسَاهِمُ مَعَهُم فِي الأعْمَالِ العَامَّةِ، وَيُعِينُ مِنْهُمْ ذَا الحَاجَةِ بِجِسْمِهِ، أوْ جَاهِهِ، أوْ مَالِهِ، أوْ شَفَاعَتِهِ فِي الحَقِّ، أوْ عَوَاطِفِهِ وَمَشَاعِرِهِ وَتَعْبِيراتِهَا.. وَمَتَى كَانَ هَذَا المَعنَى مُتَبادَلاً بَيْنَ أفْرَادِ الجَمَاعةِ ٱستَطَاعَتْ أنْ تُمثِّلَ فِي وَاقِعِها مَعنَى الجَسَديةِ الوَاحِدةِ لِلجَمَاعَةِ الَّتِي إذَا ٱشْتَكَى عُضْوٌ مِنْها؛ تَدَاعَى لَهُ سَائِـرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ والحُمَّى ))([[288]](#footnote-287))..

وَلا يَخْفَى عَلَى كُلِّ ذِي حِجَىً ذَلِكَ القَانُونُ الرَّبَّانيُّ فِي التَّنَاصُحِ، الَّذِي رَسَمتْهُ لَنَا سُورةُ «العَصْرِ».. وَالقَـاضِي بِرِبْحِ البَشَرِيَّةِ؛ إنْ هِيَ ٱستَوفَتْ العَملَ بِبُنُودِ هَذَا القَانُـونِ، أوْ خَسَارتِها فِيمَا لَوْ أخلَّتْ بِهَا، أوْ بِبَعْضِهَا.. فَقَدْ رَسَمَتْ تِلْكَ السُّورَةُ المُبَارَكةُ - عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا مِنْ أقْصَرِ سُوَرِ القُرآنِ الكَرِيمِ - (( بَرنَامَجَاً عَمَلِيَّاً لِلْخَطِّ الَّذِي يَتَحَرَّكُ فِيهِ الفَلاحُ لِلْفَردِ وَالمُجتَمَعِ فِي عِدَّةِ نُقَاطٍ ، تُمثِّلُ الدَّائِـرَةَ الوَاسِعَةَ الَّتِي يَنْطلِقُ فِيهَا المُؤْمِنُونَ، وَهِـيَ: الإيْمانُ، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، والتَّواصِي بِالحقِّ، وَالتَّواصِي بِالصَّبْر.. وَقَدْ يَكُونُ لِلعَامِلينَ الحَرَكِيِّينَ الإسْلامِيِّينَ أنْ يُحَوِّلوا هَذِهِ النُّقاطَ إلَى بَـرنامَجٍ حَرَكيٍّ تَدْخُلُ فِيهِ التَّفَاصِيلُ وَالمُفْرَدَاتُ الَّتِي تَفْتَحُ لِلفَرْدِ المُسلِمِ، ولِلمُجتَمَعِ المُسلِمِ أكْثَرَ مِنْ نَـافِذَةٍ عَلَى قَضَايَـا الحَيَاةِ الَّتِي تُؤدِّي بِالإنْسَانِ إلَى الفَلاحِ فِي الدُّنْيَـا وَالآخِـرَةِ ))([[289]](#footnote-288))..

إنَّ تِلْكَ المُقتَضَيَاتِ وَالحُقُوقَ مِنَ الأُمُورِ المُهِمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أنْ يُؤَدِّيَها المُسلِمُ تُجَاهَ «**أهْلِهِ وآلِهِ**»؛ لِيُحقِّقَ مَعَهُم مَبْدَأَ النَّصِيحَةِ وَالمُوَالاةِ فِي اللهِ([[290]](#footnote-289)).. (( فَلْيَتَعَامَلِ المُسلِمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَلْيَتَعاشَرُوا مُعَامَلَةَ الإِخْوَةِ وَمُعَاشَرَتَهم فِي المَوَدَّةِ، وَالرِّفْقِ، والشَّفَقَةِ، وَالمُلاطَفَةِ، وَالتَّعَاوُنِ فِي الخَيْرِ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ مَعَ صَفَاءِ القُلُوبِ، وَالنَّصِيحَةِ بِكُلِّ حَالٍ ))([[291]](#footnote-290)).. وَفِي هذا الصَّددِ أيْضاً يَقُولُ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ »: (( مَا مِنْ عَبْدٍ ٱستَرعَاهُ اللهُ رَعِيَّةً، فَلَمْ يَحُطْهَا بِنَصِيحَةٍ؛ إلاَّ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ))([[292]](#footnote-291)).. وَفِي رِوَايةٍ أُخْـرَى مُماثِلةٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ »: (( مَن ٱستَرْعَاهُ اللهُ رَعِيةً، فلمْ يَحُطْهُمْ بالنَّصِيحَةِ وَحُسْنِ الرِّعَايَةِ؛ لَمْ يَرُحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ))([[293]](#footnote-292)).. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ قَالَ »: (( كُلُّكُمْ رَاعٍ؛ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ.. فَالإمَامُ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْؤُولٌ.. وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى «**أهْلِهِ**»، وَهُوَ مَسْؤُولٌ.. وَالمَرأةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا، وَهِي مَسْؤُولَةٌ.. وَالعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ ، وَهُـوَ مَسْؤُولٌ.. ألا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ؛ وكُلُّكم مَسؤولٌ ))([[294]](#footnote-293))؛ يَتَبَيَّنُ لَنَا جَلِيَّاً مِنْ خِلالِ الحَدِيثِ الشَّرِيفِ بِأنَّ الرَّجلَ رَاعٍ عَلَى «**أهْلِهِ**»؛ لأنَّ «**أهْلَ**» الرَّجُلِ مِنْ جُملَةِ رَعِيَّتِهِ([[295]](#footnote-294))، وَ(( الرَّائِدُ لا يَكذِبُ «**أَهْـلَهُ**» ))([[296]](#footnote-295)).. يَقُولُ المَيْدَانِيُّ فِي مَوْسُوعَتِهِ فِي «الأخْلاقِ الإسْلامِيَّةِ»: (( وَمِنْ مَظَاهِـرِ الحُبِّ للهِ  أنْ يَنْدَفِعَ المُحِبُّ بِقُوةٍ إلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ الطيِّبَةِ، وَالوصِيَّةِ بِخَيْرٍ؛ لأنَّ المُحِبَّ يُريدُ لِمَحْبُوبِهِ كُلَّ خَيْرٍ، وَلا يَعلَمُ المُؤمِنُ خَيْراً إلاَّ أرْشَدَ مَنْ يُحِبُّهُ إلَيهِ، وَبَذلَ مَا لَدِيْهِ مِنْ نَصِيحَةٍ طيِّبَةٍ.. وَهَذِهِ مَظَاهِرُ عَجِيبَةٌ لِصِدقِ المَحَبَّةِ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ الرَّسُولُ » لِمُعَاذٍ : «وَاللهِ إنِّي لأُحبُّك»([[297]](#footnote-296))؛ ثُمَّ أوْصَاهُ ، فَقَدَّمَ لَهُ نَصِيحَةً دِينِيَّةً نَـافِعَةً..

وَالمُحِبُّ الَّذِي لا يَبْذِلُ النَّصِيحَةَ الطَّيِّبَةَ لِمَحْبُوبِهِ؛ إمَّا أنْ تَكُونَ دَعْواهُ الحُبَّ دَعْوىً كَاذِبةً .. وإمَّا أنْ يَكُونَ جاهِلاً، أرْعنَ، غَيْرَ عاقِـلٍ.. كَمَحبَّةِ بَعْضِ الأُمَّهَاتِ الجَاهِلاتِ لأوْلادِهِنَّ؛ إذْ يُهمِلْنَ نَصِيحَتَهُمْ وَتَرْبيتَهُمْ سُرُورَاً بِمَا يَستَمتِعُونَ بِهِ مِنْ إرْضاءٍ لأهْوائِهِم وَشَهَواتِهِم .. حتَّى يَنْتَهِيَ الْجُنُوحُ بِهِمْ إلَى بَـلاءٍ كَثِيرٍ، وَشِرٍّ مُستَطِيرٍ.. فَمَحبَّتُهُنَّ لأولادِهِنَّ - وَالحَالُ هَذِهِ- مَحَبَّةٌ رَعْنَاءُ ، وَعَاطِفتُهُنَّ عَـاطِفةٌ شَوْهَـاءُ !! وَكَمْ مِنْ آبَـاءَ وأُمَّهاتٍ يُفْسِدونَ أوْلادَهُم بِهَذَا الدَّاءِ، وَيَدفَعُونَ بِهِمْ إلَى شَرِّ وَبَـاءٍ .. وَحِينَما يَسقُطُ الأوْلادُ فِي العَاقِبَةِ الوَخِيمَةِ، وَيَذُوقُونَ النَّتائِجَ الألِيمَةَ يَعتَصِرُ النَّدَمُ قُلُوبَ آبَـائِهِم وأُمَّهاتِهِمُ الَّذِينَ قَصَّرُوا فِي تَرْبِيَتِهِمْ وَالحَزْمِ عَلَيْهِم؛ تَأثُّـراً بِحُبِّهِمُ الأرْعَنِ لَهُمْ.. وَلَكِـنْ حِيْنَ لا يَنْفَعُ النَّدَمُ... فَمَنْ كَانَ صَادِقَ المَحَبَّةِ، وَكَانَ عَاقِـلاً، دَرَّاكَاً لِلأُمُـورِ؛ دَفَعَتْهُ مَحَبَّتُهُ إلَى أنْ يُقدِّمَ لِمَحْبوبِهِ الوَصَايَـا الخَيِّرةَ ، وَالنَّصَائِـحَ الطَّيِّبَةَ؛ وَإنْ كَانَتْ هَذِهِ الوَصَايا وَالنَّصائِـحُ تُخَالِفُ هَـوَاهُ ، أوْ تَحْجِزُهُ وَتَمْنَعُهُ مِمَّا تَشْتَهِي نَفْسُهُ !! ))([[298]](#footnote-297))..

لِذَا فَـ((ـإنَّ المُؤمِنَ مُكَلَّفٌ بِهِدَايَةِ **«أَهْـلِهِ»**، وَإصْلاحِ بَيْتِهِ كَمَا هُوَ مُكَلَّفٌ بِهِدَايَةِ نَفْسِهِ، وَإصْلاحِ قَلْبِهِ.. إنَّ الإسْلامَ دِينُ أُسْـرَةٍ ... وَمِنْ ثَمَّ يُقَـرِّرُ تَبِعَةَ المُؤمِنِ فِي أُسرَتِهِ، وَوَاجِبَهُ فِي بَيتِهِ.. وَالبَيْتُ المُسلِمُ هُوَ نَوَاةُ الجَمَاعَةِ المُسلِمَةِ، وَهُوَ الخَلِيَّةُ الَّتِي يَتَألَّفُ مِنْهَا وَمِنَ الخَلايَا الأُخْرى ذَلِكَ الجِسمُ الحَيُّ: **المُجتَمَعُ الإسْلامِيُّ**.. إنَّ البَيْتَ الوَاحِدَ قَلْعَةٌ مِنْ قِلاعِ هَذِهِ العَقِيدَةِ ؛ وَلا بُدَّ أنْ تَكُونَ القَلْعَةُ مُتَمَاسِكَةً مِنْ دَاخِلِهَا، حَصِينَةً فِي ذَاتِهَا؛ كُلُّ فَرْدٍ فِيهَا يَقِفُ عَلَى ثَغْرَةٍ لا يُنْفَذُ إلَيْهَا.. وَإلاَّ تَكُنْ كَذَلِكَ؛ سَهُلَ ٱقْتِحَامُ المُعَسْكَرِ مِنْ دَاخِلِ قِلاعِهِ !! فَلا يَصْعُبُ عَلَى طَارِقٍ، وَلا يَستَعْصِي عَلَى مُهَاجِمٍ !!!

وَوَاجِبُ المُؤْمِنِ أنْ يَتَّجِهَ بِالدَّعْوَةِ - أوَّلَ مَا يَتَّجِهُ - إلَى بَيْـتِهِوَ**«أهْـلِهِ»**.. وَوَاجِبُهُ أنْ يُؤَمِّنَ هَذِهِ القَلْعَةَ مِنْ دَاخِلِهَا.. وَوَاجِبُهُ أنْ يَسُدَّ الثَّغَرَاتِ فِيهَا قَبلَ أنْ يَذْهَبَ بِدَعْوَتِهِ بَعِيدَاً !! وَلا بُدَّ مِنَ الأُمِّ المُسلِمَةِ؛ فَالأبُ المُسلِمُ وَحْدَهُ لا يَكْفِي لِتَأمِينِ القَلْعَةِ !! لا بُدَّ مِنْ أبٍ وَأُمٍّ ؛ لِيَقُومَا - كَذَلِكَ عَلَى الأبنَاءِ وَالبَنَاتِ - فَعَبَثَـاً يُحَاوِلُ الرَّجُلُ أنْ يُنْشِئَ المُجتَمَعَ الإسْلامِيَّ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ !! لا بُدَّ مِنَ النِّسَاءِ فِي هَذَا المُجتَمَعِ؛ فَهُنَّ الحَارِسَاتُ عَلَى النَّشْئِ، وَهُـو بُذُورُ المُستَقْبَلِ وَثِمَارُهُ ..

وَمِنْ ثَمَّ كَانَ القُرآنُ يَتَنَزَّلُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، وَكَانَ يُنَظِّمُ البُيُوتَ وَيُقِيمُهَا عَلَى المَنْهَجِ الإسْلامِيِّ، وَكَانَ يُحَمِّلُ المُؤْمِنِينَ تَبِعَةَ **«أهْلِيهِمْ»** كَمَا يُحَمِّلُهُمْ تَبِعَةَ أنْفُسِهِمْ ... هَذَا أمْـرٌ يَنبَغِي أنْ يُدْرِكَهُ الدُّعَاةُ إلَى الإسلامِ، وَأَنْ يُدْرِكُوهُ جَيِّدَاً !! إنَّ أوَّلَ الجُهْدِيَنبَغِي أنْ يُوَجَّهَ إلَى البَيْتِ: إلَى الزَّوْجَةِ، إلَى الأُمِّ.. ثُمَّ إلَى الأوْلادِ ، وَإلَى **«الأهْـلِ»** بِعَامَّةٍ.. وَيَجِبُ الاهتِمَامُ البَالِغُ بِتَكْوِينِ المُسْلِمَةِ؛ لِتُنْشِئَ البَيْتَ المُسْلِمَ.. وَيَنبَغِي لِمَنْ يُـرِيدُ بَيْتٍ مُسْلِمٍ أنْ يَبْحَثَ لَهُ - أوَّلاً - عَنِ الزَّوجَةِ المُسْلِمَةِ؛ وَإلاَّ فَسَيَتَأخَّرُ طَوِيلاً بِنَاءَ الجَمَاعَةِ الإسْلامِيَّةِ، وَسَيَظَلُّ البُنْيَانُ مُتَخَاذِلاً، كَثِيرَ الثَّغَرَاتِ !! ))([[299]](#footnote-298)).. (( فَالمَفْرُوضُ عَلَى المُسلِمِ الصَّالِحِ - الَّذي يُـرِيدُ أنْ يَتَزَوَّجَ - التَّأكُّدُ مِنْ أُسْـرَةِ البِنْتِ الَّتِي يُـرِيدُ الاقْتِرَانَ بِهَا، وَيَدْرُسهَا دِرَاسَةً دَقِيقَةً مِنْ حَيْثُ الانْسِجَامِ الفِكْرِيِّ، وَالتَّخَلُّقِ بِالأخْلاقِ الإسلامِيَّةِ؛ فَالمَـرْأةُ لَهَا دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي التَّرْبِيَةِ الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا.. وَرَحِمَ اللهُ مَنْ قَالَ :- الأُمُّ مَدْرَسَـةٌ إذَا أعْدَدْتَهَـا أعْدَدْتَ شَعْبَاً طَيِّبَ الأعْـرَاقِ([[300]](#footnote-299))

فَالأُمُّ - فِي تَحَمُّلِ المَسْؤُولِيَّةِ - كَالأَبِ؛ بَلْ مَسْؤُولِيَّتُهَا أهَمُّ وَأخْطَرُ؛ بِٱعتِبَارِ أنَّهَا مُلازِمَةٌ لِوَلَدِهَا مُنْذُ الوِلادَةِ إلَى أنْ يَشِبُّ وَيَتَرَعْرَعَ، وَيَبلُغَ السِّنَ الَّتِي تُؤَهِّلُهُ لِيَكُونَ إنْسَانَ الوَاجِبِ وَرَجُلَ الحَيَاةِ .. وَالرَّسُولُ » قَدْ أفْرَدَ الأُمَّ بِتَحَمُّلِ المَسْؤُولِيَّةِ حِينَ قَالَ: «وَالزَّوْجَةُ [كذا]([[301]](#footnote-300)) رَاعِيَةٌ... وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ»([[302]](#footnote-301)).. وَإذَا قَصَّرَتِ الأُمُّ فِي الوَاجِبِ التَّرْبَوِيِّ نَحْوَ أولادِهَا، وَإذَا أهْمَلَ الأبُ مَسْؤُولِيَّةَ التَّوْجِيهِ وَالتَّرْبِيَةِ نَحْوَ أوْلادِهِ ؛ لانْصِرَافِهِ - وَقْتَ الفَرَاغِ - إلَى اللَّهْوِ وَٱرْتِيَادِ القَهَوَاتِ مَعَ الأصْحَابِ وَالخِلاَّنِ؛ فَلا شَكَّ أنَّ الأبْنَاءَ سَيَنْشَأونَ نَشْأةَ اليَتَامَى، وَيَعِيشُونَ عِيشَةَ المُشَرَّدِينَ.. بَـلْ سَيَكُونُونَ مَعَاوِلَ هَدْمٍ، وَسَبَبَ فَسَادٍ ، وَأدَاةَ إجْـرَامٍ لِلأُمَّةِ بِأسْـرِهَا !!! وَللهِ دَرُّ مَنْ قَـالَ :-

وَإِذَا النِّسَاءُ نَشَـأْنَ فِي أُمِّيَّـةٍ رَضَعَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولا

لَيْسَ اليَتِيمُ مَنِ ٱنتَهَى أَبَواهُ مِنْ هَمِّ الحَيَـاةِ وَخَلَّفَـاهُ ذَلِيـلا

فَأَصَابَ بِالدُّنيَا الحَكِيمَةِ مِنْهُمَا وَبِحُسْنِ تَـرْبِيَةِ الزَّمَانِ بَدِيلا

إِنَّ اليَتِيمَ هُـوَ الَّذِي تَلْقَى لَـهُ أُمَّـاً تَخَلَّتْ أَوْ أَبَـاً مَشْغُولا([[303]](#footnote-302)) ))([[304]](#footnote-303))..

مِمَّا تَقَدَّمَ نَستَشِفُّ بِـ((ـأَنَّ المَرْحَلَةَ الأُولَى لِتَبلِيغِ الرِّسَالَةِ هِيَ الشُّرُوعُ مِنْ عَائِلةِ المُبلِّغِ، الَّذِينَ هُمْ أقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ وَلِهَذَا فَإنَّ نَبِيَّ الإِسْلامِ » بَدَأَ دَعْوتَهُ بِزَوْجَتِهِ الغَالِيةِ خَدِيجةَ ... وَحَسَبَ أمْرِ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ([[305]](#footnote-304))، ثُمَّ تَوَجَّهَ - بَعْدَ ذَلِكَ - إلَى أقْرِبَائِهِ ))([[306]](#footnote-305)).. (( وَالإِنْذَارُ هُوَ التَّحْذِيرُ مِنَ الشَّيءِ

قَبلَ أوَانِهِ، فَلَمْ يقُلْ: بَشِّرْ عَشِيرَتَكَ.. كأنَّهُ يَقُولُ لَهُ: إِيَّاكَ أنْ تأخُذكَ بِهِمْ لِينٌ وَرَأفةٌ ؛ أوْ عَطْفٌ لِقَرَابَتِهِمْ لَكَ، بَلْ بِهِمْ فَٱبْدَأْ ))([[307]](#footnote-306)).. (( وَدَلَّتِ الآيَةُ عَلَى الاهتِمَامِ بالأقَارِبِ، والبَدَاءَةِ بِدَعْوَتِهِمْ.. فَعَلَى الدَّاعِيَةِ أنْ يَبْدأ بِدَعوةِ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الأقَارِبِ وَالجِيرَانِ.. ثُمَّ مَنْ بَعْدَهُم.. فَإذا بَلَغَتْهُمُ الدَّعوةُ ؛ ٱنْتَشرتْ مِنْهُمْ إلَى غَيْرِهِم؛ وإلاَّ كانُوا حُجَّةً للآخَرِينَ فِي الامتِنَاعِ عَنْ قَبُولِهَا ))([[308]](#footnote-307)).. كَمَا (( دَلَّتْ - إضَافَةً إلَى البَدَاءَةِ بِالأقَارِبِ - عَلَى أنَّ القَرَابَةَ وَالنَّسَبَ لا يَنْفَعُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنَ العَبْدِ !! ))([[309]](#footnote-308)).. وَدَلَّتْ كَذَلِكَ عَلَى التَّنْبِيهِ (( عَلَى أنَّ العَذَابَ يُدْفَعُ بِالطَّاعَةِ، لا بِالوَسِيلَةِ !! ))([[310]](#footnote-309))..

لِذَا كَانَ مِنْ (( وَاجِبِ المُؤْمِنِ أنْ يَتَّجِهَ بِالدَّعْوَةِ - أوَّلَ مَا يَتَّجِهُ - إلَى بَيْـتِهِوَ**«أهْلِهِ»**... قَبلَ أنْ يَذْهَبَ بِدَعْوَتِهِ بَعِيدَاً... هَذَا أمْرٌ يَنبَغِي أنْ يُدْرِكَهُ الدُّعَاةُ إلَى الإسلامِ، وَأَنْ يُدْرِكُوهُ جَيِّدَاً!! إنَّ أوَّلَ الجُهْدِيَنبَغِي أنْ يُوَجَّهَ إلَى البَيْتِ: إلَى الزَّوْجَةِ، إلَى الأُمِّ.. ثُمَّ إلَى الأوْلادِ ، وَإلَى **«الأهْـلِ»** بِعَامَّةٍ ))([[311]](#footnote-310))..؛ حَيْثُ إنَّ (( النَّبِيَّ مأْمُورٌ بِإنْذَارِ النَّاسِ جَمِيعاً؛ وَخَصَّ  عَشِيرَةَ الرَّسُولِ » بِالذِّكْرِ لأنَّ المُؤَدِّبَ يَبْدأُ بِنَفْسِهِ.. ثُمَّ بِـ«**أهْلِهِ**» وَعَشِيرَتِهِ.. ثُمَّ بِالآخَرِينَ؛ وَلأنَّ عَشِيرَتَهُ إذَا صَدَّقُوهُ وَآمَنُوا بِهِ كَانُوا عَوْنَاً لَهُ عَلَى بَثِّ الدَّعْوةِ وَٱنْتِشَارِهَا ))([[312]](#footnote-311)).. (( بَيْنَمَا يَفْرِضُ المَوقِفُ المُعاكِسُ [أي عَدَمُ إبْـلاغِ الدَّعوةِ للأهْـلِ والعشِيرةِ والأقَاربِ، أوْ عَدَم ٱستِجابتِهم لها] نَتِيجَةً مُعَاكِسَةً؛ لأنَّهُمْ يَكُونُونَ حُجَّةً عَلَيهِ فِيمَا يُمكِنُ أنْ يُثوِّرَ الحَدِيثَ بِأنَّهُ لَوْ كَانَ صَادِقاً لَصَدَّقَتْهُ عَشِيرَتُهُ؛ لأنَّهُمْ أعْرَفُ النَّاسِ بِهِ، وَأقْرَبُهُم إلَيهِ ))([[313]](#footnote-312))..

وَيُلَخِّصُ صَاحِبُ «تَقْرِيبِ القُرآنِ» هَذَا المَعْنى قائِلاً: (( وإنَّمَا خُصُّوا بِالذِّكْرِ؛ لأجْـلِ لُزُومِ الاهتِمَامِ بِالعَشِيرَةِ أكْثَرَ مِنْ سَائِـرِ النَّاسِ؛ فإنَّهُمْ إنْ آمَنُوا كَانُوا عَونَـاً لَهُ وَمُساعِدِينَ، وَإنْ لَمْ يُؤْمِنُوا كَانُوا أقْوَى الأعْداءِ ))([[314]](#footnote-313)).. (( وَهذِهِ النَّذارَةُ الخاصَّةُ لا تُنَافِي النَّذَارَةَ العَامَّةَ؛ بَـلْ هِيَ فَردٌ مِنْ أجْزَائِهَا، كَمَا قَـالَ :  لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ([[315]](#footnote-314)).. وَقَـالَ :  لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا([[316]](#footnote-315)).. وَقَـالَ :  وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ([[317]](#footnote-316)) وَقَـالَ :  لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً([[318]](#footnote-317)).. وَقَالَ : وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرآن لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ([[319]](#footnote-318)) ))([[320]](#footnote-319))..

يَقُـولُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسيرِ قَولِهِ : قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى([[321]](#footnote-320)): (( المَعنَى: أنَـا لا أطْلُبُ مِنْكُمْ إلاَّ هَذَا - يَعنِي المَوَدَّةَ - وَهَذَا - فِي الحَقِيقَةِ لَيْسَ أجْـرَاً - ؛ لأنَّ حُصُولَ المَوَدَّةِ بَيْنَ المُسلِمِينَ أمْـرٌ وَاجِبٌ... أيْ: لَكِنْ أُذَكِّرُكُمْ قَرَابَتِي مِنْكُمْ !! وَكَأنَّهُ - فِي اللَّفْظِ - أجْـرٌ، وَلَيْسَ بِأجْرٍ!! ))([[322]](#footnote-321)).. وَيَقُولُ سيدُ قطب: (( إنَّهُ لا يَطْلبُ مِنْهُمْ أَجْراً، إنَّمَـا تَدفَعُهُ المَوَدَّةُ لِلقُربَى - وقدْ كَانَتْ لِرَسُولِ اللهِ » قَرَابةٌ بِكُلِّ بَطْنٍ مِنْ بُطُونِ قُرَيشٍ - لِيُحاوِلَ هِدَايتَهُمْ بِمَا مَعَهُ مِنَ الهُدى، وَيُحقِّقَ الخَيْرَ لَهُمْ ؛ إِرْضاءً لِتِلْكَ المَوَدَّةِ الَّتِي يَحْمِلُها لَهُمْ .. وَهَذِهِ أجْرُهُ وَكَفَى... وَعَلى أيَّةِ حَالٍ فَهُوَ يُذكِّرهُم أنَّهُ لا يَسألُهُمْ عَلَى شَيءٍ مِنْ هَذَا أَجْرَاً.. وَدُونَ هَذَا بِمَرَاحِلَ يَطلُبُ عَلَيهِ الإِدْلاءُ أَجْرَاً ضَخْماً، ولكنَّهُ فَضلُ اللهِ الَّذِي لا يُحاسِبُ العِبادَ حِسَابَ التِّجَارَةِ وَلا حِسَابَ العَدلِ؛ وَلكنْ حِسَابَ السَّماحَةِ، وَحِسَابَ الفَضلِ ))([[323]](#footnote-322))..

أيْ إنَّ الله  أرَادَ بِقَولِهِ: قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ([[324]](#footnote-323)): (( قُـلْ يَا aُ لِهؤُلاءِ المُشْرِكِينَ مِنْ كُفَّارِ قُريشٍ: لا أسألُكُمْ عَلَى هَذَا البَلاغِ والنُّصْحِ لَكُم مَـالاً تُعْطُونِيهُ.. وإنَّمَـا أطلُبُ مِنْكُم أنْ تكُفُّوا شَرَّكُمْ عَنِّي، وَتَذَرُونِي أُبلِّغُ رِسَالاتِ رَبِّي، وإنْ لَمْ تَنْصُرُونِي؛ فَلا تُؤْذُونِي بِمَا بَينِي وَبَينَكُمْ مِنَ القَرَابَةِ ))([[325]](#footnote-324)).. (( فَإنَّهَا بِهَا يَتِمُّ أمْـرُ الدِّينِ، وَيَكْمُلُ الاجتِمَاعُ فِيهِ؛ فَإنَّكُمْ إذَا وَصَلْتُمْ مَا بَينِي وَبَينَكُمْ مِنَ الرَّحِمِ؛ لَمْ تُكَذِّبُونِي بِالبَـاطِلِ، وَلَمْ تَـرُدُّوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ؛ فَأفلَحْتُمْ كُلَّ الفَلاحِ، وَدَامَتِ الأُلْفَةُ بَيْنَنَا حَتَّى نَمُوتَ.. ثُمَّ نَدْخُلُ الجَنَّةَ؛ فَتَستَمِرُّ أُلفَتُنَا أبَدَاً.. وَقَدْ شَمِلَ ذَلِكَ جَمِيعَ القَرَابَاتِ ))([[326]](#footnote-325)).. وَقَـالَ ٱبنُ حَجَرٍ العَسقَلانيُّ بِـأنَّ مَعنَى الحَدِيثِ: (( إلاَّ أنْ تَوَدُّونِي لِقَرَابتِي فِيكُمْ؛ فتَحْفظُوني.. وَالخِطَابُ لِقُرَيشٍ خَاصَّةً، وَالقُربَى: قَرَابَـةُ العُصُوبَةِ والرَّحِمِ.. فَكَأنَّهُ قَـالَ: ٱحفَظُونِي لِلْقَرَابَةِ إنْ لَمْ تَتَّبِعُونِي لِلنُّبُوَّةِ .. فَقَدْ حَمَلَهَا عَلَى أنْ يُوَادِدُوا النَّبِيَّ » مِنْ أجْـلِ القَرَابَةِ الَّتِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ))([[327]](#footnote-326)).. فَخُلاصَةُ المَعنَى: (( لا أسألُكُمْ أجْرَاً قَطُّ ؛ لَكِنْ أسألُكُمْ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ))([[328]](#footnote-327)).. فَـ(( «إلاَّ» هُنَـا: أدَاةُ ٱستِدْرَاكٍ بِمَعنَى «لَكِنْ»، وَلَيْسَتْ أدَاةَ ٱستِثْنَاءٍ ؛ لأنَّ المَوَدَّةَ فِي القُربَى لِيْسَتْ مِنَ الأجْرِ... أيْ: لَكِنْ أسألُكُمْ أنْ تُعَامِلُونِي مُعَامَلَةَ المَوَدَّةِ الَّتِي تَكُونُ بَيْنَ الأقْرِبَاءِ ، وَلَوْ كَانَتْ قَرَابَاتُهُمْ بَعِيدَةً .. وَمِنْ عَادَاتِ أهلِ القُربَى فِي القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ أنْ يَنْصُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً؛ لِمَوَدَّةِ القَرَابَةِ بَيْنَهُمْ، لا أنْ يُعَادِيَ بَعضُهُمْ بَعْضَاً، وَيُشَاقَّ بَعْضُهُمْ بَعْضَاً.. فَـرَاعُوا هَذِهِ المَوَدَّةَ ؛ فَدَعُونِي وَمَسِيرَتِي فِي دَعْوَتِي، وَلا تُعَادُونِي، وَلا تُدَبِّرُوا المَكَايِدَ ضِدِّي وَضِدَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَٱتَّبَعُونِي ))([[329]](#footnote-328))..

خُلاصَةُ مَـا تَقَدَّمَ مِنْ كَلامٍ هِيَ أنَّ لِكُـلِّ حَقٍّ حَقِيقةٌ تدُلُّ عَلَيهِ، وَحَقِيقةُ الحُبِّ - كَمَا مَرَّ بَيَانُهُ - هِيَ «**العَمَلُ والاتِّباعُ**»، وَلَيْسَ فَقَط الادِّعَـاءُ بِاللِّسَانِ.. وَكَذَلِكَ فَإنَّ (( الشُّكرَ - فِي الحَقِيقةَ - لَيْسَ مُجَرَّدَ الحَمْدِ بِاللِّسَانِ؛ وَإنَّمَا هُوَ ٱستِعْمَالُ جَمِيعِ الحَوَاسِّ وَالأعْضَاءِ المَخْلُوقَةِ لِلإنْسَانِ فِيمَا خُلِقَتْ لَهُ مِنَ المَنَافِعِ المُبَاحَةِ ))([[330]](#footnote-329)).. فَهُـوَ عَمَلُ الشَّاكِرِ بِِمَا يُرْضِي المَشْكُورَ.. وَقَليلٌ مَنْ يُدركُ هَذِهِ الحَقِيقةَ، وَيَسْعَى جَاهِدَاً مِنْ أجلِ تَحقِيقِهَا، قَالَ :  اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ([[331]](#footnote-330)).. (( وَظَاهِـرُ الآيةِ أنَّ الشُّكرَ بِعَمَلِ الأبْدَانِ دُونَ الاقْتِصارِ عَلَى عَمَلِ اللِّسَانِ؛ وَلِهذَا كَانَ نَبِيُّنا » يَقُومُ اللَّيلَ حَتَّى تَتَفطَّرَ قَدَماهُ ... قَـالَ: أفَلا أكُونُ عَبْداً شَكُورَاً ؟؟!! ))([[332]](#footnote-331)).. وَأنَّ «**أهْـلَ**» الأنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لَيْسُوا أهْـلَ لَحْمٍ وَدَمٍ .. إنَّمَـا هُمُ المُتَّقونَ الصَّالِحُونَ مِنْ «**أَهْـلِ**» العَقِيدةِ وَالإِيمَانِ؛ وَإنْ بَعُدَ نَسبُهُمْ مِنْهُم.. وَأَنَّ أَعْدَاءَهُـمْ هُمُ العَاصُونَ؛ وإِنْ قَرُبتْ قَرَابتُهُمْ مِنْهم([[333]](#footnote-332)).. كَمَـا أنَّ (( الانْتِمَاءَ الحَقِيقِيَّ لِلصَّالِحِينَ لَيْسَ بِالنَّسَبِ والحَسَبِ؛ إنَّمَا بِالعَمَلِ الخَالِصِ لِوَجْهِ اللهِ  ))([[334]](#footnote-333)).. كَمَا أنَّ وَلايتَهُمْ وَلايةُ اللهِ ؛ لأنَّهُمْ أوْلِياؤُهُ وأنْصارُ دِينهِ، وَوَلايةُ اللهِ  لا تَكُونُ إلاَّ بِالطَّاعَةِ وَالتَّقْوَى.. وَقَـولُ ربِّنا :  إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ ([[335]](#footnote-334))، وَقَولُ نَبِيِّنَا »: (( إنَّ أولِيائِيَ المُتَّقُونَ مِنْكُمْ ))([[336]](#footnote-335)) خَيْرُ مَـا يُمَثِّلانِ هَذَا الجَانِبَ الكَبِيرَ، ويُفْصِحَانِ عَنْهُ ..

لَقَدْ قَرَنَ اللهُ  فِي كِتَابِهِ كُلِّهِ الإيمَانَ - كَحَقِيقةٍ قلْبِيَّةٍ - بِالعَمَلِ الصَّالِحِ - كبُرْهَانٍ عَملِيٍّ ظَاهِرِيٍّ لِتِلْكَ الحَقِيقةِ - وَقرَّرَ خَسَارةَ البَشَرِيةِ؛ مَا لَمْ يَكُنِ ذَلِكَ العَمَلُ مُقْتَرِنَاً ومُلازِماً للإيمَانِ، لا يَنْفَكُّ وَلا يَنْفَصِلُ عَنْهُ بِـأيِّ حَالٍ مِنَ الأحْوالِ، هَذَا مِنْ جَانِبٍ .. وَمَـا لَمْ يكُنْ مُصَاحِباً لِلنُّصْحِ وَالتَّوَاصِي بِالحقِّ وَالخَيْرِ، وَبِالصَّبرِ وَالجَلَدِ وَغَيْرِهِ مِمَّـا يُملِيهِ الإيمَـانُ والعَملُ الصَّالِـحُ مِـنْ جانبٍ آخَرَ.. إذْ إنَّ حَقِيقَةَ الإيمَـانِ - كَمَا قرَّر دينُنا الحَنِيفُ - تَتَطلَّبُ مِنَّا الإقْرارَ بِاللِّسانِ، والتَّصْدِيقَ باللِّسَانِ، والعَملَ بِالأركانِ.. وَمَا لَمْ تَجتَمِعْ هَذِهِ الشُّرُوطُ ؛ بِأنْ تَخلَّفَ أحَدُهَا؛ فَلا إيمَانَ، وَلا مُؤمِنَ !! قَـالَ : وَالْعَصْرِ  إِنَّ الأِِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ([[337]](#footnote-336))..

إنَّ (( الإيمَانَ وَالعَملَ الصَّالِحَ أسَاسُ النَّجَاحِ.. وَهَذَانِ العُنْصُرانِ يُمثِّلانِ القِيمَتِينِ الكُبرَيَيْنِ فِي الجَانِبِ الوِجْدانيِّ لِلإنْسانِ: فِي دَائِـرَةِ فِكْرِهِ وَشُعُورِهِ .. وَفِي الجَانِبِ الحَرَكيِّ: فِي دَائِـرَةِ حَرَكتِهِ فِي الخَطِّ العَمَليِّ مِنْ حَيَاتِهِ .. فَـالإيمَانُ هُوَ الحَالَةُ الفِكْرِيَّـةُ المُنطَلِقَةُ مِنْ قَنَاعَاتِ الإنْسانِ... أمَّـا العَملُ الصَّالِحُ فَهُو الإيمانُ المُتجسِّدُ بِكُلِّ مَعَانِيهِ وَإيحَاءَاتِهِ وَخَطَواتِهِ فِي الوَاقِـعِ؛ لأنَّهُ لَيْسَ مُجرَّدَ فِكْرةٍ فِي العَقلِ، أوْ خَفْقةٍ فِي القَلبِ، أوْ حَرَكةٍ فِي الشُّعُورِ.. بَـلْ هُوَ موقِفٌ يَنْطَلِقُ مِنْ فِكْرَةٍ ، وَفِعْـلٌ يَتَحرَّكُ مِنْ إحْسَاسٍ، وَحَرَكةٌ تَتَجسَّدُ فِي وَاقِـعٍ.. وَبِذَلِكَ لا يَنْفَصِلُ العَمَلُ عَنِ الإيمانِ... فَهُوَ نَتِيجةٌ، بَـلْ تَجْسِيدٌ لَهُ ))([[338]](#footnote-337)).. لِذلِكَ كُلِّهِ فَـ((ـإنَّ الأجْرَ عِندَ اللهِ يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الإيمَانِ الحَقِيقيِّ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ.. إِضَافةً إلَى العَملِ الصَّالِحِ ..))([[339]](#footnote-338)).. وَلِذلكَ قَـرَنَ الحَكِيمُ  صِفَةَ «الإسْلامِ» بِصِفَةِ «الإيمَانِ» فِي حِكَايَتِهِ لِلنَّاجِينَ مِنْ **«آلِ»** لُوطٍ .. قَالَ  عَلَى لِسانِ رُسِلِهِ مِنَ المَلائِكَةِ المُكْرَمِينَ:  فأخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ المُؤْمِنِينَ  فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ([[340]](#footnote-339)).. حَيْثُ (( وُصِفَ **«أهْـلَ البَيْتِ»** النَّاجِينَ بِأنَّهُمْ مِنَ المُسلِمِين ، وَمِنَ المُؤْمِنِينَ  فِي الآيَةِ قَبلَهَا؛ لأنَّهُمْ مُصَدِّقُونَ بِقُلُوبِهِمْ([[341]](#footnote-340))، وَعَامِلُونَ بِجَوَارِحِهِمْ الطَّاعَاتِ([[342]](#footnote-341)).. فَالإيمَانُ وَحْدَهُ لا يَكْفِي مَا لمْ يَقْتَرِنْ بِـ«العَمَلِ الصَّالِحِ» الَّذِي يُملِيهِ الإسْلامُ الصَّحِيحُ ))([[343]](#footnote-342))..

كَانَ فِيمَا مَضَى ٱستِعْراضٌ لأَهَمِّ الأُسُسِ وَالجَوَانِبِ، بَـلِ الضَّوابِطِ الَّتي لا بُدَّ مِنْ تَوَافُرِهَا فِي المُسلِمِ ؛ كَيْ يندَرجَ - بإذْنِ اللهِ - ضِمْنَ قَافِلَةِ «**الأهْـلِ والآلِ**».. وهُمَـا جَانِبَا العَمَلِ وَالسَّببِ الشَّرعيِّ، وَمُقَارَنَتُهُ بِالنَّسبِ القَدَرِيِّ.. وَجَانِبُ الوَلاءِ وَالحُبِّ وَمُقارنتُهُ بِالطَّاعَةِ بِالمَعْرُوفِ وَالاتِّبَـاعِ، وَتَأدِيَةِ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ .. كُـلُّ ذَلِكَ مِنْ خِـلالِ رُؤْيَةٍ قُرآنيَّةٍ مَوْضُوعيَّةٍ.. مَعَ ٱستِعْرَاضِ أهَمِّ مَا وَرَد فِي السُّنَّةِ المُطَهَّرةِ ، وَمَـا أُثِـرَ عَنْ سَلَفِنَـا الصَّالِحِ ..

وَسَـأخْتِمُ فِي الفَصلِ القَادِمِ بِإذنِ اللهِ  هَذِهِ الرِّحلَةَ مَـعَ «**الأهْـلِ والآلِ**»؛ مِنْ خِلالِ ٱستِعْرَاضِ أهَمِّ النَّمَاذِجِ القُرآنيَّـةِ وَالتَّارِيخِيَّـةِ بِهَذَا الصَّدَدِ .. نَـرَى فِيْها مَنِ ٱستَوفَى بِالشُّرُوطِ مِمَّنْ أخَـلَّ بِهَا؛ لِيَتَّضِحَ لَنَا - بَعدَ ذَلِكَ - المَقْصُودُ مِنْ خِلالِ ضَربِ الأمثِلَةِ .. إذْ أنَّ كُـلَّ قَاعِدَةٍ لا بُدَّ أنْ يُستَشهَدَ عَلَيها بِعَددٍ مِنَ الأمْـثِلةِ؛ كَيْ تأخُذَ حَيِّزَهَـا مِنَ العَمَلِ وَالتَّنْفِيذِ وَالتَّطْبِيقِ، بَعْدَما تَتَّضِحُ دِلالتُها، وَيَستَبِينَ المَقصُودُ مِنْهَا..

1. (1) التفسير الأمثل ج13/ ص221. [↑](#footnote-ref-0)
2. () يُنظر: الأخلاق الإسلامية ج1/ ص149- 151، و ص327- 332. [↑](#footnote-ref-1)
3. () يُنظر مِنْ كُتُبِهِ على سبيلِ المِثال: مدارج السالكين ج1/ ص159، وإغاثةَ اللهفان ج1/ ص56، وشِفاء العليل ج1/ ص48، و ص280، وطريق الهِجرتين ج1/ ص346. [↑](#footnote-ref-2)
4. () ج15/ ص9039. [↑](#footnote-ref-3)
5. () معارج التفكُّر ودقائق التدبُّر ج10/ ص406. [↑](#footnote-ref-4)
6. () في ظِلال القُرآن ج5/ ص2602. [↑](#footnote-ref-5)
7. () الأُمَّة والإمامة/ ص38- 39، ويُنظر: المُنتقى/ ص510 و ص557. [↑](#footnote-ref-6)
8. () عِصْمة الأنبياء/ ص26. [↑](#footnote-ref-7)
9. () في ظلال القُرآن ج1/ ص110- 111. [↑](#footnote-ref-8)
10. () المصدر السَّابق ج1/ ص110- 111. [↑](#footnote-ref-9)
11. () يُنظر: المصدر نفسُه ج10/ ص1561. [↑](#footnote-ref-10)
12. () المصدر نفسُه ج10/ ص1561. [↑](#footnote-ref-11)
13. () المصدر السَّابق ج10/ ص1561- 1562. [↑](#footnote-ref-12)
14. () المصدر نفسُه ج10/ 1562. [↑](#footnote-ref-13)
15. () المصدر نفسُه ج10/ 1562- 1563. [↑](#footnote-ref-14)
16. () المصدر نفسُه ج10/ ص1562. [↑](#footnote-ref-15)
17. () المَصدر السَّابق ج10/ ص1562- 1563. [↑](#footnote-ref-16)
18. () المصدر نفسُه ج12/ ص1886- 1887. [↑](#footnote-ref-17)
19. () المصدر نفسُه ج12/ ص1888- 1889. [↑](#footnote-ref-18)
20. () سورة هود/ من الآيتين 45- 46. [↑](#footnote-ref-19)
21. () تفسير الشعراوي ج3/ ص1531، ويُنظر: التفسير الوسيط ج2/ ص1045. [↑](#footnote-ref-20)
22. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج9/ ص294. [↑](#footnote-ref-21)
23. () التفسير الوسيط ج2/ ص1045. [↑](#footnote-ref-22)
24. () الاتِّباع المذموم ج2/ ص404. [↑](#footnote-ref-23)
25. () في ظِلال القُرآن ج5/ ص2602، ويُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب ج10/ ص505. [↑](#footnote-ref-24)
26. () سورة التحريم/ الآية 10. [↑](#footnote-ref-25)
27. () ج1/ ص548. [↑](#footnote-ref-26)
28. () مدارك التنزيـل ج2/ ص157، ويُنظر: الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج2/ ص384. [↑](#footnote-ref-27)
29. () التبيان ج5/ ص494، ويُنظر: المعجم الكبير/ رقم (6040) ج6/ ص212، والمستدرك/ رقم (6539) ج3/ ص691، وعمدة القاري/ كتاب النكاح (باب: **قُوا أنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَارَاً** ) - رقم (8815) ج20/ ص167. [↑](#footnote-ref-28)
30. () أضواء البيان ج8/ ص538. [↑](#footnote-ref-29)
31. () ما بين القوسين المعكوفين ليس من كلام الشوكاني.. إنما من كلام الشنقيطي؛ وقد أوردته هنا لمناسبته وأهميته. [↑](#footnote-ref-30)
32. () سورة هود/ من الآية 46. [↑](#footnote-ref-31)
33. () ج2/ ص726، ويُنظر: الوجيز ج1/ ص522. [↑](#footnote-ref-32)
34. () تفسير الجلالين ج1/ ص290، ويُنظر: الوجيز ج1/ ص522. [↑](#footnote-ref-33)
35. () الوجيز ج1/ ص522. [↑](#footnote-ref-34)
36. () روح المعاني ج12/ ص68- 69، ويُنظر: التفسير المُنير ج6/ ص393. [↑](#footnote-ref-35)
37. () سورة هود / من الآية 46. [↑](#footnote-ref-36)
38. () سورة هود / من الآية 46. [↑](#footnote-ref-37)
39. () سورة الطور/ من الآية 21. [↑](#footnote-ref-38)
40. () من هُدى القُرآن ج14/ ص106، ويُنظر: في ظلال القُرآن ج27/ ص3397. [↑](#footnote-ref-39)
41. () تفسير الشَّعراوي ج11/ ص6484. [↑](#footnote-ref-40)
42. () من وحي القُرآن ج12/ ص77، ويُنظر: من موضوعات القُرآن الكريم (التوراة والإنجيل والقُرآن في سورة آل عمران) / ص71. [↑](#footnote-ref-41)
43. () التفسير الكاشف ج4/ ص234، ويُنظر: أضواء البيان ج12/ ص1745- 1746، وتقريب القُرآن ج12/ ص47. [↑](#footnote-ref-42)
44. () تفسير الشعراوي ج3/ ص1530- 1531. [↑](#footnote-ref-43)
45. () سورة نوح / من الآية 28. [↑](#footnote-ref-44)
46. () اللُّباب في علوم الكتاب ج19/ ص204، ويُنظر: المحرر الوجيز ج15/ ص126. [↑](#footnote-ref-45)
47. () روح المعاني ج12/ ص101. [↑](#footnote-ref-46)
48. () تقريب القُرآن ج29/ ص96، ويُنظر: نُزهة الأعيُن النواظر/ ص207، وأضواء البيان ط. دار الفكر ج29/ ص7450، والتفسير المُنير ج15/ ص164. [↑](#footnote-ref-47)
49. () سورة آل عمران/ الآية 68. [↑](#footnote-ref-48)
50. () التفسير المُنير ج1/ ص250، ويُنظر: ج2/ ص279- 280، و ج7/ ص283، و ص301. [↑](#footnote-ref-49)
51. () تفسير الشعراوي ج1/ ص574، ويُنظر: ج11/ ص6481 و ص6484، ويُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب ج10/ ص505، والتفسير المُنير ج12/ ص40- 41، وزهرة التفاسير ج2/ ص531. [↑](#footnote-ref-50)
52. () الاتِّباع المحمود ج1/ ص245- 246. [↑](#footnote-ref-51)
53. () في ظلال القُرآن ج3/ ص412- 413. [↑](#footnote-ref-52)
54. () مسند أحمد بن حنبل/ مسند المُكثرين من الصحابة (مسند أنس بن مالك ) - رقم (12601) ج3/ ص155. [↑](#footnote-ref-53)
55. () التفسير الأمثل ج2/ ص409، ويُنظر: التفسير الكاشف ج2/ ص83، والتفسير المُنير ج14/ ص144. [↑](#footnote-ref-54)
56. () من وحي القُرآن ج6/ ص55. [↑](#footnote-ref-55)
57. () من هُدى القُرآن ج1/ ص576، ويُنظر: التفسير المُنير ج9/ ص431- 438. [↑](#footnote-ref-56)
58. () صحيح البُخاري/ كتاب الأدب (باب تبل الرحِم ببِلالِها) - رقم (5644) ج5/ ص2233، صحيح مُسلِم/ كتاب الإيمان (باب موالاة المُؤمِنسنَ ومُقاطعةِ غيرِهِم والبراءةِ مِنْهُم) - رقم (215) ج1/ ص197، مسند أحمد ٱبنِ حنبل/ مسند الشاميينَ (بقية مسند عمرو بنِ العاص ) - رقم (17837) ج4/ ص203. [↑](#footnote-ref-57)
59. () التفسير الكاشف ج2/ ص83 و ج4/ ص234، ومن وحي القُرآن ج6/ ص55. [↑](#footnote-ref-58)
60. () المرجع نفسه ج2/ ص83. [↑](#footnote-ref-59)
61. () بِحار الأنوار ج18/ ص234. [↑](#footnote-ref-60)
62. () يُنظر: التفسير الكاشف ج4/ ص234. [↑](#footnote-ref-61)
63. () التبيان في تفسير القُرآن ج5/ ص494، ويُنظر: المعجم الكبير/ رقم (6040) ج6/ ص212، والمستدرك/ رقم (6539) ج3/ ص691، وعمدة القاري/ كتاب النكاح (باب:  **قُوا أنفُسَكُمْ وأَهْلِيكُمْ نَارَاً** ) - رقم (8815) ج20/ ص167. [↑](#footnote-ref-62)
64. () سورة هود/ من الآية46. [↑](#footnote-ref-63)
65. () في ظلال القُرآن ج1/ ص111. [↑](#footnote-ref-64)
66. () البينات ج2/ ص672- 673، ويُنظر: من موضوعات القُرآن الكريم (أزواج الأنبياء  في سورة التحريم) / ص219- 220، والتفسير المُنير ج14/ ص140، و ص144. [↑](#footnote-ref-65)
67. () مدارك التنزيـل ج4/ ص261، ويُنظر: معالم التنزيـل ج1/ ص170، وأنـوار التنزيل وأسـرار التأويل ج1/ص358، والصافي في تفسير القُرآن ج5/ ص197، والتفسير المُنير ج14/ ص713. [↑](#footnote-ref-66)
68. () يُنظر: أضواء البيان ج8/ ص224، والتفسير المُنير ج14/ ص713. [↑](#footnote-ref-67)
69. () تفسير القُرآن العظيم ج4/ ص505. [↑](#footnote-ref-68)
70. () تقريب القُرآن ج28/ ص163. [↑](#footnote-ref-69)
71. () اللُّباب في علوم الكتاب ج19/ ص216. [↑](#footnote-ref-70)
72. () التفسير الوسيط ج3/ ص2533، ويُنظر: التفسير المُنير ج7/ ص301. [↑](#footnote-ref-71)
73. () التفسير الأمثل ج18/ ص424. [↑](#footnote-ref-72)
74. () التفسير الكاشف ج7/ ص367، ويُنظر: أضواء البيان ج18/ ص382، وتفسير المراغي ج21/ ص99، و ص101، والتفسير المُنير ج14/ ص140، و ص144. [↑](#footnote-ref-73)
75. () نظم الدُّرر ج20/ ص210. [↑](#footnote-ref-74)
76. () يُنظر: سورة التحريم/ الآية 11. [↑](#footnote-ref-75)
77. () يُنظر: سورة التحريم/ الآية 12. [↑](#footnote-ref-76)
78. () في ظِلال القُرآن ج6/ ص3622، ويُنظر: التفسير المُنير ج11/ ص590- 591، و ج14/ ص144. [↑](#footnote-ref-77)
79. () أضواء البيان ج8/ ص225، ويُنظر: أضواء البيان ط. دار الفكر ج25/ ص5448. [↑](#footnote-ref-78)
80. () التفسير الوسيط ج3/ ص2693، ويُنظر: الجواهر الحِسان ج4/ ص317. [↑](#footnote-ref-79)
81. () مفاتيح الغيب ط. دار الكتب العلمية ج30/ ص44. [↑](#footnote-ref-80)
82. () من وحي القُرآن ج22/ ص373. [↑](#footnote-ref-81)
83. () يُنظر: التفسير الأمثل ج6/ ص511. [↑](#footnote-ref-82)
84. () في ظلال القُرآن ج12/ ص1686- 1687. [↑](#footnote-ref-83)
85. () سورة الشعراء/ الآية 169. [↑](#footnote-ref-84)
86. () يُنظر: التفسير الأمثل ج11/ ص394. [↑](#footnote-ref-85)
87. () التفسير الكاشف ج4/ ص234، ويُنظر: الأساس في التفسير ج3/ ص1427- 1432. [↑](#footnote-ref-86)
88. () من هدى القُرآن ج10/ ص322. [↑](#footnote-ref-87)
89. () الاتِّباع المحمود ج1/ ص9. [↑](#footnote-ref-88)
90. () صحيح البُخاري/ كتاب المناقب (باب قوله :  يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى  - رقم (3306) ج3/ ص1289، ويُنظر: مسند أحمد بن حنبل/ مسند بني هاشم (مسند عبد الله بن العباس بن عبد المُطَّلب ) - رقم (2599) ج1/ ص286، وتفسير القرآن العظيم ج4/ ص112. [↑](#footnote-ref-89)
91. () سورة النجم/ الآية 39. [↑](#footnote-ref-90)
92. () مُعجِزة القُرآن/ ص31. [↑](#footnote-ref-91)
93. () يُنظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام/ ص482، والتفسير المُنير ج7/ ص301، و ج9/ ص431- 438. [↑](#footnote-ref-92)
94. () سورة الفتح/ من الآية 29. [↑](#footnote-ref-93)
95. () نظم الدُّرر ج18/ ص339. [↑](#footnote-ref-94)
96. () يُنظر: المحرر الوجيز ج13/ ص480، والتحرير والتنوير ج26/ 210، والتفسير الوسيط ج3/ ص2467، والتفسير المُنير ج13/ ص538. [↑](#footnote-ref-95)
97. () سورة الحشر/ الآية 10، ويُنظر: القرآن وعليّ والصحابة/ ص47، والمنهج القُرآني/ ص391. [↑](#footnote-ref-96)
98. () التفسير الكاشف ج7/ ص290. [↑](#footnote-ref-97)
99. () الأُصول والفُروع/ ص138، ويُنظر: صفوة البيان/ ص817 [↑](#footnote-ref-98)
100. () التفسير المُنير ج13/ ص538. [↑](#footnote-ref-99)
101. () التحرير والتنوير ج26/ ص203. [↑](#footnote-ref-100)
102. () أضواء البيان ط. دار الفكر ج26/ ص5690،. [↑](#footnote-ref-101)
103. () مسند أحمد بن حنبل/ مسند المُكثرين من الصحابة (مسند أنس بن مالك ) - رقم (12601) ج3/ ص155. [↑](#footnote-ref-102)
104. () وفارَ التنور/ ص9- 10. [↑](#footnote-ref-103)
105. () سورة غافر/ الآيتان 7- 8. [↑](#footnote-ref-104)
106. () التحرير والتنوير ج24/ ص92، ويُنظر: زهرة التفاسير ج2/ 49- 50. [↑](#footnote-ref-105)
107. () يُنظر: أضواء البيان ج1/ ص278، والاتِّباع المحمود ج1/ ص247- 248. [↑](#footnote-ref-106)
108. () سورة إبراهيم/ من الآية 36. [↑](#footnote-ref-107)
109. () يُنظر: تفسير اللُّباب ج11/ ص395، وزهرة التفاسير ج4/ ص472، والتفسير الوسيط ج2/ ص1203. [↑](#footnote-ref-108)
110. () سورة المؤمنون/ الآية 101، ويُنظر التفسير المُنير ج18/ ص56- 58. [↑](#footnote-ref-109)
111. () سُنن أبي داود/ كتاب الأدب (باب في صلاة العُتمة) - رقم (4987) ج2/ ص715. [↑](#footnote-ref-110)
112. () البينات ج2/ ص673، ويُنظر: من موضوعات القُرآن الكريم (الإسلام لله  في سورة البقرة) / ص74، ، والتفسير الوسيط ج2/ ص1720. [↑](#footnote-ref-111)
113. () سُنن الدارمي/ المُقدِّمة (باب فضل العِلْمِ والعالِم) - رقم (356) ج1/ ص113، وسُنن التِّرمِذي/ كِتاب القِراءات (باب رقم 12) - رقم (3945) ج5/ ص195، وسُنن أبي داود/ كِتاب العِلم (باب الحثِّ على طلبِ العِلْمِ) - رقم (3643) ج2/ ص242، وسُنن ٱبن ماجه/ كِتاب الإيمان وفضائل الصَّحابة والعِلم (باب فضل العُلماء والحثِّ على طلبِ العِلْمِ) - رقم (225) ج1/ ص82. [↑](#footnote-ref-112)
114. () ج8/ ص212، ويُنظر: إثبات الهداة / ص770، وبحار الأنوار ج25/ ص289. [↑](#footnote-ref-113)
115. () يُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص126- 130، والأساس في التفسير ج7/ ص1364- 1365، والتفسير الوسيط ج2/ ص1720. [↑](#footnote-ref-114)
116. () سورة الزمر/ من الآية 15. [↑](#footnote-ref-115)
117. () سورة المؤمنون/ الآية 101. [↑](#footnote-ref-116)
118. () سورة الانفطار/ الآية 19. [↑](#footnote-ref-117)
119. () تفسير الميزان ج17/ ص263. [↑](#footnote-ref-118)
120. () سورة المؤمنون/ الآية 101. [↑](#footnote-ref-119)
121. () ج46/ ص81- 82 ، ويُنظر: المُستطرف ج2/ ص238- 239، و «من هُدى القُرآن» ج8/ ص236، والأساس في التفسير ج7/ ص1364- 1365. [↑](#footnote-ref-120)
122. () التفسير الأمثـل ج15/ ص43. [↑](#footnote-ref-121)
123. () يُنظر: الموسوعة الشعرية ، والوصايا والنَّصائح في الشِّعرِ العربي/ ص14. [↑](#footnote-ref-122)
124. () يُنظر: المرجع نفسه ، والعِلْم في الشِّعرِ العربي/ ص57. [↑](#footnote-ref-123)
125. () يُنظر: المرجع السابق. [↑](#footnote-ref-124)
126. () يُنظر: المرجع نفسه، وصدر البيت: - وَمَن يَغتَرِبْ يَحْسبْ عَدُوّاً صَديقَهُ ......................... [↑](#footnote-ref-125)
127. () يُنظر: المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-126)
128. () يُنظر: المرجع نفسه. [↑](#footnote-ref-127)
129. () والعِصاميُّ نسبةً إلى عِصام بنِ شَهْبر الجِرْميِّ، صاحِبِ النُّعمانِ بنِ المُنذِرِ، وأصلُ التَّنويهِ قولُ النَّابِغةِ الذُّبيانيِّ :- نفسُ عِصامٍ سوَّدتْ عِصاما وعلَّمتْـهُ الكَرَّ والإِقْـداما.. [يُنظر: الموسوعة الشعرية، وصحيفة البيان/ ص4]. [↑](#footnote-ref-128)
130. () صحيفة البيـان/ ص4، ويُنظر: لا تحـزن/ ص241- 242. [↑](#footnote-ref-129)
131. () سورة النجم/ الآيتان 39- 40. [↑](#footnote-ref-130)
132. () التفسير الوسيط ج1/ ص63- 64. [↑](#footnote-ref-131)
133. () التفسير المُنير ج1/ ص360- 361. [↑](#footnote-ref-132)
134. () سورة طـه/ من الآية 15. [↑](#footnote-ref-133)
135. () سورة النحل/ من الآية 111. [↑](#footnote-ref-134)
136. () سورة التوبة/ من الآية 105. [↑](#footnote-ref-135)
137. () يُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص121- 125، والمُعجم الموضوعي للقُرآن الكريم ج4/ ص28. [↑](#footnote-ref-136)
138. () التفسير الوسيط ج3/ ص2533. [↑](#footnote-ref-137)
139. () التفسير المُنِير ج1/ ص170- 171. [↑](#footnote-ref-138)
140. () وفار التنور/ ص15- 16. [↑](#footnote-ref-139)
141. () تفسير الشعراوي ج16/ ص10155. [↑](#footnote-ref-140)
142. () في ظلال القُرآن ج12/ ص1891. [↑](#footnote-ref-141)
143. () المصدر نفسه ج3/ ص386. [↑](#footnote-ref-142)
144. () المصدر نفسه ج1/ ص110- 111. [↑](#footnote-ref-143)
145. () المصدر نفسه ج1/ ص112- 113، ويُنظر: الوجوه والنظائـر ج1/ ص440. [↑](#footnote-ref-144)
146. () تفسير الشَّعراوي ج11/ ص6484. [↑](#footnote-ref-145)
147. () الأُمَّة والإمامة/ ص38- 39، ويُنظر: المُنتقى/ ص510 و ص557. [↑](#footnote-ref-146)
148. () أي: كِبْرِيَـاءَها. [↑](#footnote-ref-147)
149. () سُنن أبي داود/ كِتابُ الأدب (بابُ التفاخر بِالأحساب) - رقم (5116) ج2/ ص752، وسُنن التِّرمذي/ كِتاب المناقب (باب في فضل الشأم واليمن) - رقم (3956) ج5/ ص735، ومسند أحمد بنِ حنبل/ مسند المُكثِرينَ مِنَ الصَّحابةِ (مسند أبي هُريرةَ ) - رقم (10791) ج2/ ص523. [↑](#footnote-ref-148)
150. () سورة الدخان/ الآية 41. [↑](#footnote-ref-149)
151. () سورة لقمان/ الآية 33. [↑](#footnote-ref-150)
152. () في ظِلال القُرآن ج5/ ص2602، ويُنظر أيضاً: ج21/ 2797- 2798، ومن موضوعات القُرآن الكريم (المقابلة الحكيمة والموازنة المُستحيلة في سورة لُقمان/ ص15. [↑](#footnote-ref-151)
153. () صحيح البخاري/ كتاب الرقائق (باب سكرات الموت) - رقم (6149) ج5/ ص2388، وصحيح مسلم/ كتاب الزهد والرقائق - رقم (5) ج4/ ص2273، وسنن الترمذي/ كتاب الزهد (باب مثل ٱبن آدم وأهله وولده وماله وعمله) - رقم (6149) ج4/ ص589، وصحيح ٱبن حبان/ كتاب الجنائز (باب المريض وما يتعلق به) - رقم (3107) ج7/ ص374، وتحفة الأحوذي/ أبواب الزهد (باب ما جاء في أخذ المال) - رقم (2379) ج7/ ص42. [↑](#footnote-ref-152)
154. () سورة فاطر/ من الآية 18، ويُنظر: البيِّنات ج2/ ص673. [↑](#footnote-ref-153)
155. () في ظلال القُرآن ج22/ ص2938، ويُنظر: تفسير المراغي ج22/ ص120. [↑](#footnote-ref-154)
156. () المصدر نفسه ج27/ ص3414، ويُنظر: التفسير الوسيط ج3/ ص2039، ، وتفسير المراغي ج25/ ص33. [↑](#footnote-ref-155)
157. () فتح الباري/ باب قول النَّبيّ » للحسن : إنَّ ابنِي هذا لسيِّد - رقم (6692) ج1/ ص367، ويُنظر: شرح النووي على مسلم/ كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها (باب كراهة قول الإنسان: خبُثتْ نفسي) ج15/ ص7، وتحفة الأحوذي/ كتاب الدعوات (باب مناقب سعيد بن زيد بنِ عمرو) ج10/ ص 178، وعون المعبود/ كتاب الفتن والملاحم (باب ما يُرجى في في القتل) - رقم (4290) ج11/ ص256. [↑](#footnote-ref-156)
158. () صحيح البُخاري/ كِتاب المغازي (باب مرجع النَّبيّ » منَ الأحزابِ ومخرجهِ إلى بني قُريظة) - رقم (3895) ج4/ ص1511، وصحيح مُسلم/ كتاب الجِهاد والسير (باب جواز قتالِ مَنْ نقضَ العهدَ) - رقم (1768) ج3/ ص1388، وسُنن أبي داود/ كتاب الأدب (باب ما جاء في القيام) - رقم (5216) ج2/ ص776، ومسند أحمد ٱبنُ حنبل/ باقي مسند الأنصار (حديث السيدة عائشة ) - رقم (25140) ج6/ ص141، وصحيح ٱبن حِبَّان/ كتاب أخبارِهِ » عن مناقب الصحابة - رقم (7028) ج15/ ص498. [↑](#footnote-ref-157)
159. () يُنظر: البِداية والنِّهاية ج6/ ص219، و ص244، والمُنتقى/ ص503. [↑](#footnote-ref-158)
160. () السيرة النبوية (لابن هشام) ج2/ ص283. [↑](#footnote-ref-159)
161. () وَهُم قَبِيلة الأوس مِنَ الأنصار ( جَمِـيعَاً). [↑](#footnote-ref-160)
162. () السيرة النبوية (لابن كثير) ج2/ ص184. [↑](#footnote-ref-161)
163. () سورة آل عمران/ من الآية 39، ويُنظر: الصافي في تفسير القُرآن ج1/ ص309، وتفسير القُرآن الكريم ج1/ ص55، والتفسير الأمثل ج2/ ص356. [↑](#footnote-ref-162)
164. () يُنظر: المعجم المُفهرِس لألفاظ القُرآن الكريم/ مادة «عمل» ، والمرجعية القُرآنية/ ص121- 125. [↑](#footnote-ref-163)
165. () صحيح البُخاري/ كِتاب التفسير (باب تفسير سورة الشُّعراء) - رقم (4493) ج4/ ص1787، وصحيح مُسلِم/ كِتاب الإيمان (باب في قولِهِ :  وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين ) - رقم (206) ج1/ ص192، وسُنن النَّسائي/ كِتاب الوصايا (باب: إذا أوصى لِعشيرتِه الأقربين) - رقم (3647) ج6/ ص249، ومسند أحمد بن حنبل/ مسند المُكثِرينَ مِنَ الصَّحابة (مسند أبي هُريرةَ ) - رقم (4493) ج4/ ص1787، ويُنظر: رُحماءُ بينهم/ ص41. [↑](#footnote-ref-164)
166. () سورة الشعراء/ الآية 214. [↑](#footnote-ref-165)
167. () صحيح مسلم/ كتاب الإيمان (باب في قوله :  وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) - رقم (204) ج1/ ص192. [↑](#footnote-ref-166)
168. () معارج التفكُّر ودقائق التدبُّر ج8/ ص719. [↑](#footnote-ref-167)
169. () بفتح الباء وكسرها. [↑](#footnote-ref-168)
170. () صحيح مسلم ج1/ ص192. [↑](#footnote-ref-169)
171. () صحيح البخاري/ كتاب الرقائق (باب سكرات الموت) رقم (6149) ج5/ ص2388، وصحيح مسلم/ كتاب الزهد والرقائق - رقم (5) ج4/ ص2273، وسنن الترمذي/ كتاب الزهد (باب مثل ٱبن آدم وأهله وولده وماله وعمله) (6149) ج4/ ص589، وصحيح ٱبن حبان/ كتاب الجنائز (باب المريض وما يتعلق به) - رقم (3107) ج7/ ص374، وتحفة الأحوذي/ أبواب الزهد (باب ما جاء في أخذ المال) - رقم (2379) ج7/ ص42. [↑](#footnote-ref-170)
172. () يُنظر: ج1/ ص77 وما بعدَها.. ويُنظر: صحيح مسلم ج1/ ص147. [↑](#footnote-ref-171)
173. () غُرر الحِكَم/ ص14. [↑](#footnote-ref-172)
174. () نهج البلاغة ج2/ ص116. [↑](#footnote-ref-173)
175. () غُرر الحِكَم/ ص23. [↑](#footnote-ref-174)
176. () بحار الأنوار ج78/ ص90. [↑](#footnote-ref-175)
177. () وسائل الشيعة ج11/ ص236. [↑](#footnote-ref-176)
178. () بحار الأنوار ج78/ ص208. [↑](#footnote-ref-177)
179. () وسائل الشيعة ج11/ ص170. [↑](#footnote-ref-178)
180. () مدارج السالِكين ج3/ ص706. [↑](#footnote-ref-179)
181. () يُنظر: تفسير الشعراوي ج3/ ص1421. [↑](#footnote-ref-180)
182. () لا بُدَّ من لعن الظلام/ ص125. [↑](#footnote-ref-181)
183. () يُنظر: مع الأنبياء في القُرآن الكريم/ ص139. [↑](#footnote-ref-182)
184. () في ظلال القُرآن ج1/ ص91، ويُنظر: تفسير الشعراوي ج1/ ص467. [↑](#footnote-ref-183)
185. () المصدر نفسه ج1/ ص91، ويُنظر: تفسير الشعراوي ج1/ ص467. [↑](#footnote-ref-184)
186. () الأخلاق الإسلامية ج2/ ص262. [↑](#footnote-ref-185)
187. () فوائد الفوائد/ ص204. [↑](#footnote-ref-186)
188. () المُنتقى/ ص399 . [↑](#footnote-ref-187)
189. () المستدرك/ كتاب الإمامة وصلاة الجماعة (باب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر) - رقم (1913) ج1/ ص702، ويُنظر: سُنن التِرمِذي/ كتاب تفسير القُرآن (باب تفسير سورة ص) - رقم (3235) ج5/ ص368، ومسند أحمد بن حنبل/ مسند الأنصار (حديث معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه) - رقم (22162) ج5/ ص243، والمعجم الكبير/ باب الميم (معاذ بن جبل الأنصاري ) - رقم (216) ج20/ ص109. [↑](#footnote-ref-188)
190. () سورة الأحزاب/ من الآية 21. [↑](#footnote-ref-189)
191. () يُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب ج11/ ص395، وأضواء البيان ج1/ ص278. [↑](#footnote-ref-190)
192. () يُنظر: الفوائد/ ص146 . [↑](#footnote-ref-191)
193. () سورة آل عمران/ الآية 31. [↑](#footnote-ref-192)
194. () مدارج السالِكين ج3/ ص9، و ص22، و ص39. [↑](#footnote-ref-193)
195. () تفسير القُرآن العظيم ج1/ ص477، ويُنظر: أضواء البيان ج1/ ص199، والأساس في التفسير ج2/ ص733. [↑](#footnote-ref-194)
196. () في ظِلال القُرآن ج3/ ص387، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص95- 96، واللُّباب في علوم الكتاب ج11/ ص395، وأضواء البيان ج1/ ص278، وزهرة التفاسير ج2/ 49- 50. [↑](#footnote-ref-195)
197. () يُنظر: صحيح البُخاري/ كتاب الأيمان والنُّذور (باب: كيف كانتْ يمين النَّبيِّ ») - رقم (6257) ج6/ ص2445، وتفسير الشعراوي ج3/ ص1419- 1420. [↑](#footnote-ref-196)
198. () في ظِلال القُرآن ج10/ ص1560. [↑](#footnote-ref-197)
199. () تفسير الشعراوي ج3/ ص1421. [↑](#footnote-ref-198)
200. () مدارج السالِكين ج3/ ص15- 16. [↑](#footnote-ref-199)
201. () سورة النساء/ الآية 65. [↑](#footnote-ref-200)
202. () سورة غافر/ الآية 7. [↑](#footnote-ref-201)
203. () صحيح البُخاري/ كِتاب الاعتصام بالكِتاب والسُّنة (باب الاقتداء بِسُنن رسول الله ») - رقم (6851) ج6/ ص2655، ويُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب ج11/ ص395، وأضواء البيان ج1/ ص278، والاتَّباع المحمود ج1/ ص92- 94. [↑](#footnote-ref-202)
204. () التفسير الوسيط ج1/ ص188. [↑](#footnote-ref-203)
205. () الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج1/ ص347- 348. [↑](#footnote-ref-204)
206. () زهرة التفاسير ج5/ ص2251. [↑](#footnote-ref-205)
207. () محبَّة رسول الله » بين الاتِّباع والابتداع/ ص51. [↑](#footnote-ref-206)
208. () ج11/ ص528 . [↑](#footnote-ref-207)
209. () يُنظر: الكشَّاف ط. دار الكتب العلْمية ج1/ ص366، والأساسُ في التفسير ج3/ 1430، وتفسير المنار ج3/ ص234، والتفسير الأمثل ج2/ ص342. [↑](#footnote-ref-208)
210. () يُنظر: المصدر نفسه ج1/ ص366، والأساسُ في التفسير ج3/ 1430، وتفسير المنار ج3/ ص234، والتفسير الأمثل ج2/ ص342. [↑](#footnote-ref-209)
211. () يُنظر: الموسوعة الشعرية. [↑](#footnote-ref-210)
212. () يُنظر: عُمدة الحُفَّاظ ج1/ ص363، وفتح الباري ج1/ ص84- 85، وجواهر البُخاري/ ص25، ومحبَّة رسول الله » بين الاتِّباع والابتداع/ ص53، والأساس في التفسير ج3/ ص1430. [↑](#footnote-ref-211)
213. () سورة آل عمران/ الآية 32. [↑](#footnote-ref-212)
214. () الاتِّباع المحمود ج1/ ص118. [↑](#footnote-ref-213)
215. () أي: حبيباً. [↑](#footnote-ref-214)
216. () الاستقامة ج1/ ص262. [↑](#footnote-ref-215)
217. () الاتِّباع المَحْمُود ج1/ ص118، ويُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب ج11/ ص395، وأضواء البيان ج1/ ص278. [↑](#footnote-ref-216)
218. () ج2/ ص268، ويُنظر: من موضوعات القُرآن الكريم (التوراة والإنْجِيل والقُرآن في سورة آل عِمْران) / ص42- 43. [↑](#footnote-ref-217)
219. () سورة آل عمران/ الآيتان 31- 32. [↑](#footnote-ref-218)
220. () الأخلاق الإسلامية ج2/ ص277- 278. [↑](#footnote-ref-219)
221. () يُنظر: من هدى القُرآن ج5/ ص65. [↑](#footnote-ref-220)
222. () يُنظر: التفسير الكاشف ج4/ ص234. [↑](#footnote-ref-221)
223. () محبَّة رسول الله » بين الاتِّباع والابتداع/ ص100. [↑](#footnote-ref-222)
224. () الاتِّباع المحمود ج1/ ص120. [↑](#footnote-ref-223)
225. () سورة الصف/ الآيتان 2 و 3. [↑](#footnote-ref-224)
226. () استنشاق نسيم الأُنس من نفحات رياض القدس/ ص120. [↑](#footnote-ref-225)
227. () الاتِّباع المحمود ج1/ ص246. [↑](#footnote-ref-226)
228. () سورة هود/ من الآية 3. [↑](#footnote-ref-227)
229. () سُورة سـبأ/ من الآية 28. [↑](#footnote-ref-228)
230. () سُورة الأنبياء/ من الآية 107. [↑](#footnote-ref-229)
231. () فتح الباري ج1/ ص102، ويُنظر: صحيح مسلم/ كتاب الفضائل (باب شفقته » على أُمَّته، ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم) - رقم (17) ج4/ ص1789، وسُنن التِرمِذي/ كتاب الأمثال (باب مَثَل ٱبن آدم وأجله وأمله) - رقم (2874) ج5/ ص154. [↑](#footnote-ref-230)
232. () شرح سُنن ٱبن ماجه (باب الجوامع من الدعاء إلى الجامعة) - رقم (4027) ج1/ ص291، ويُنظر: صحيح البخاري/ كتاب الأنبياء (باب:  أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً - رقم (3290) ج3/ ص1282، وصحيح مسلم/ كتاب الجهاد والسير (باب غزوة أُحُد) - رقم (105) ج3/ ص1417. [↑](#footnote-ref-231)
233. () سورة مريم/ الآيات 42- 45. [↑](#footnote-ref-232)
234. () التحرير والتنوير ج25/ ص192. [↑](#footnote-ref-233)
235. () الاتِّباع المذموم ج2/ ص359- 360. [↑](#footnote-ref-234)
236. () سورة هود / الآيتان 74- 75. [↑](#footnote-ref-235)
237. () سورة نوح / الآيات 2- 4. [↑](#footnote-ref-236)
238. () سورة هود / الآية 26. [↑](#footnote-ref-237)
239. () سورة يس/ الآيتان 20- 21. [↑](#footnote-ref-238)
240. () بدائع التفسير ج3/ ص142. [↑](#footnote-ref-239)
241. () التفسير الكاشف ج4/ ص450. [↑](#footnote-ref-240)
242. () سورة مريم / من الآية 55. [↑](#footnote-ref-241)
243. () يُنظر: جامع البيان ج3/ ص259، ومعالم التنزيـل ج1/ ص36، والجامع لأحكام القرآن ج4/ ص81، وفتح القدير ج1/ ص510. [↑](#footnote-ref-242)
244. () سورة مريم / من الآية 11. [↑](#footnote-ref-243)
245. () سورة يوسف/ الآية 111. [↑](#footnote-ref-244)
246. () سورة الممتحنة/ من الآية 6. [↑](#footnote-ref-245)
247. () سورة التحريم/ من الآية 6. [↑](#footnote-ref-246)
248. () التبيان ج28/ ص159، ويُنظر: التفسير الأمثل ج18/ ص420. [↑](#footnote-ref-247)
249. () لم أقفْ عَلى تخريج لهذا الحديث في الصِّحاح، ولا في السُّنن، ولا في المسانيد !!! [↑](#footnote-ref-248)
250. () الكشاف ج1/ ص1273، ويُنظر: من موضوعات القُرآن الكريم (أزواج النَّبيّ » في سورة التحريم)، ص216. [↑](#footnote-ref-249)
251. () سنن الدارمي/ كتاب فضائل القُرآن (باب في ختم القُرآن) – رقم (3474) ج2/ ص560. [↑](#footnote-ref-250)
252. () سورة طه »/ من الآية 132. [↑](#footnote-ref-251)
253. () سورة التحريم/ من الآية 6، ويُنظر: صحيح البُخاري ج1/ ص430، والتمهيد ج17/ 283، والاستذكار ج2/ ص334. [↑](#footnote-ref-252)
254. () تفسير القمي ج2/ ص377، ويُنظر: تفسير الصافي في تفسير القُرآن ج5/ ص196، والبرهان في تفسير القُرآن ج5/ ص354، وتفسير القُرآن الكريم ج1/ ص560، و«من وحي القُرآن» ج22/ ص420. [↑](#footnote-ref-253)
255. () في ظِلال القُرآن ج28/ ص3617- 3618. [↑](#footnote-ref-254)
256. () التبيان ج10/ ص50، ويُنظر: أحكام القُرآن ج4/ ص13، وأضواء البيان ط. دار الفكر ج28/ ص7273- 7284، والتحرير والتنوير ج28/ ص365- 366. [↑](#footnote-ref-255)
257. () تقريب القُرآن ج16/ ص151. [↑](#footnote-ref-256)
258. () يُنظر: الأساس في التفسير ج10/ ص6002- 6003، والتفسير المُنير ج14/ ص704. [↑](#footnote-ref-257)
259. () التمهيد ج17/ ص283، ويُنظر: عمدة القاري/ كتاب تفسير القُرآن (سورة : لِمَ تحرِّم) - رقم (5193) ج19/ ص253، وتحفة الأحوذي/ أبواب الصلاة (باب ما جاء في وصف صلاة النَّبيّ ») - رقم (445) ج2/ ص430، والاستذكار/ باب: (مالك بن عبد الله ٱبن أبي بكر بن حزم ) ج2/ ص90. [↑](#footnote-ref-258)
260. () التمهيد - ج2/ ص284، ويُنظر: الاستذكار/ كتاب الشعر (باب ما جاء في المُتحابِّين في الله) - رقم (1777) ج8/ ص449، وفتح الباري/ باب قول الله :  أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ  ج13/ ص113، وتحفة الأحوذي/ أبواب السفر (باب ما ذُكر في فضل الصلاة) ج3/ ص194، وعون المعبود/ كتاب الخراج والفيء والإمارة (باب ما يلزم الإمام) - رقم (2928) ج8/ ص104. [↑](#footnote-ref-259)
261. () الاتِّباع المحمود ج1/ ص184. [↑](#footnote-ref-260)
262. () التفسير الأمثل ج1/ ص339 ويُنظر: مواهب الرحمن ج2/ ص66. [↑](#footnote-ref-261)
263. () ج1/ ص208، ويُنظر: من وحي القُرآن ج3/ ص32. [↑](#footnote-ref-262)
264. () سورة لُقمان/ الآيات 13- 17- 18- 19. [↑](#footnote-ref-263)
265. () من موضوعات القُرآن الكريم (المقابلة الحكيمة والموازنة المُستحيلة في سورة لُقمان) / ص15. [↑](#footnote-ref-264)
266. () من وحي القُرآن ج18/ ص202. [↑](#footnote-ref-265)
267. () سورة البقرة / الآيات 131- 132- ومن الآية 133. [↑](#footnote-ref-266)
268. () التحرير والتنوير ج1/ ص727. [↑](#footnote-ref-267)
269. () يُنظر: في ظِلال القُرآن ج6/ ص3619، والتفسير الأمثل ج18/ ص420. [↑](#footnote-ref-268)
270. () يُنظر: التحرير والتنوير ج1/ ص4482. [↑](#footnote-ref-269)
271. () التفسير الكاشف ج7/ ص365. [↑](#footnote-ref-270)
272. () التمهيد ج19/ ص160. [↑](#footnote-ref-271)
273. () الاستذكار/ كتاب الطلاق- باب ما جاء في عدَّة الأمة من طلاق زوجها ج6/ ص171. [↑](#footnote-ref-272)
274. () التمهيد ج19/ ص160. [↑](#footnote-ref-273)
275. () الاستذكار ج6/ ص171. [↑](#footnote-ref-274)
276. () سُورة البقرة / من الآية 236. [↑](#footnote-ref-275)
277. () تحفة الأحوذي/ أبواب الزكاة (باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة) حديث (658) ج3/ ص261، ويُنظر: فتح الباري/ باب هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها زوجٌ - ج5/ ص219، وعمدة القاري/ كتاب العتق (باب قول النَّبيِّ: العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون) ج13/ ص106. [↑](#footnote-ref-276)
278. () صحيح مسلم/ كتاب الإمارة (باب الناس تَبَعٌ لقريش، والخلافةُ في قريش) - رقم (1882) ج3/ ص1453، ومسند أحمد بن حنبل/ مسند الكوفيين (حديث جابر بن سَمُرة ) - رقم (20824) ج5/ ص86، والحديث رقم (20862) ج5/ ص89. [↑](#footnote-ref-277)
279. () المعجم الكبير/ باب الجيم (جابر بن سَمُرة السودائي ) - رقم (1802) ج2/ ص198، وصحيح ٱبن حِبَّان/ كتاب الزكاة (باب صدقة التطوع) - رقم (3342) ج8/ ص131، وسُنن البيهقي الكبرى/ كتاب المُدْبر (باب المدبِر يجوز بيعه متى شاء مالكُه) - رقم (21326) ج10/ ص309. [↑](#footnote-ref-278)
280. () المعجم الأوسط/ باب من اسمه علي - رقم (3897) ج4/ ص173. [↑](#footnote-ref-279)
281. () مسند أحمد بن حنبل/ مسند المكثرين من الصحابة (مسند أبي هريرة ) - رقم (10123) ج2/ ص473. [↑](#footnote-ref-280)
282. () يُنظر: الأخلاق الإسلامية ج2/ ص191- 198. [↑](#footnote-ref-281)
283. () صحيح مسلم/ كتاب الإيمان (باب بيان أنَّ الدين النصيحة) – رقم (55) ج1/ ص74، وسُنن النَّسائي/ كتاب البيعة (باب النصيحة للإمام) - رقم (4200) ج7/ ص157، ومسند أحمد بن حنبل/ مسند الشاميين (مسند تميمٍ الداري ) - رقم (16988) ج4/ ص102، وشُعب الإيمان/ الباب الخامس والثلاثون (باب الأماناتِ وما يجبُ من أدائها إلى أهلِها) - رقم (5265) ج4/ ص323. [↑](#footnote-ref-282)
284. () صحيح مسلم ج1/ ص74. [↑](#footnote-ref-283)
285. () يُنظر: فتح الباري ج1/ ص138. [↑](#footnote-ref-284)
286. () سورة التحريم/ من الآية 6. [↑](#footnote-ref-285)
287. () الأخلاق الإسلامية ج2/ ص376. [↑](#footnote-ref-286)
288. () الأخلاق الإسلامية ج2/ ص378. [↑](#footnote-ref-287)
289. () من وحي القُرآن ج24/ ص463، ويُنظر: التفسير الكاشف ج7/ ص605، والتفسير الأمثل ج20/ ص392، و«من هدى القرآن» ج18/ ص334»، وتقريب القُرآن ج30/ ص238. [↑](#footnote-ref-288)
290. () يُنظر: الموالاة والمُعاداة/ ص13، والتَّوحيد في الولاءِ والبراءِ والعمل/ ص8- 12. [↑](#footnote-ref-289)
291. () تحفة الأحوذي ج6/ ص46. [↑](#footnote-ref-290)
292. () المعجم الكبير/ باب الميم (معقل بن يسار) - رقم (478) ج20/ ص209، وعمدة القاري/ كتاب الأحكام (باب من ٱستُرعي رعيةً فلم ينصحْ) - رقم (7150) ج24/ ص228. [↑](#footnote-ref-291)
293. () الاستذكار/ كتاب صفة صلاة النَّبيِّ » (باب جامع ما جاء في الطعام والشراب) - رقم (1732) ج8/ ص381. [↑](#footnote-ref-292)
294. () التمهيد - ج2/ ص284، والاستذكار/ كتاب الشعر (باب ما جاء في المتحابين في الله) - رقم (1777) ج8/ ص449، وفتح الباري/ باب قول الله :  أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ  ج13/ ص113، وتحفة الأحوذي/ أبواب السفر (باب ما ذُكر في فضل الصلاة) ج3/ ص194، وعون المعبود/ كتاب الخراج والفيء والإمارة (باب ما يلزم الإمام) - رقم (2928) ج8/ ص104. [↑](#footnote-ref-293)
295. () يُنظر: التمهيد/ ج2/ ص284. [↑](#footnote-ref-294)
296. () المعجم الكبير ج22/ ص159. [↑](#footnote-ref-295)
297. () يُنظر: سُنن أبي داود/ كتاب سُجود القُرآن (باب في الاستغفار) - رقم (1522) ج1/ ص475، وصحيح ٱبن خزيمة/ كتاب الصَّلاة (باب الأمر بِمسألة الربِّ  في دُبُر كل صلاة المعونة على ذكره وشكره) - رقم (751) ج1/ ص369. [↑](#footnote-ref-296)
298. () الأخلاق الإسلامية ج2/ ص267. [↑](#footnote-ref-297)
299. () في ظِلال القُرآن ج6/ ص3619. [↑](#footnote-ref-298)
300. () قائِلُ هذا البيت هو الشاعر حافظ إبراهيم. [↑](#footnote-ref-299)
301. () في الحديث الشريف: والمرأة راعيةٌ ... [↑](#footnote-ref-300)
302. () التمهيد - ج2/ ص284، والاستذكار/ كتاب الشعر (باب ما جاء في المتحابين في الله) - رقم (1777) ج8/ ص449، وفتح الباري/ باب قول الله :  أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ  ج13/ ص113، وتحفة الأحوذي/ أبواب السفر (باب ما ذُكر في فضل الصلاة) ج3/ ص194، وعون المعبود/ كتاب الخراج والفيء والإمارة (باب ما يلزم الإمام) - رقم (2928) ج8/ ص104. [↑](#footnote-ref-301)
303. () الأبيات لأحمد شوقي، يُنظر: الموسوعة الشعرية. [↑](#footnote-ref-302)
304. () أضواء البيان ط. دار الفكر ج28/ ص7279، ويُنظر: مفاتيح الغيب ط. دار الكتب العلمية ج30/ ص41. [↑](#footnote-ref-303)
305. () سورة الشعراء/ الآية 214. [↑](#footnote-ref-304)
306. () التفسير الأمثل ج9/ ص416. [↑](#footnote-ref-305)
307. () تفسير الشعراوي ج17/ ص10706. [↑](#footnote-ref-306)
308. () تفسير القُرآن العظيم ج3/ ص465، ويُنظر: المحرر الوجيز ج11/ ص155. [↑](#footnote-ref-307)
309. () التفسير المُنير ج10/ ص261. [↑](#footnote-ref-308)
310. () اللُّباب في علوم الكتاب ج19/ ص216، ويُنظر: أضواء البيان ج6/ ص100. [↑](#footnote-ref-309)
311. () في ظِلال القُرآن ج6/ ص3619، ، ويُنظر: التفسير الوسيط ج2/ ص1858- 1859. [↑](#footnote-ref-310)
312. () التفسير الكاشف ج5/ ص521. [↑](#footnote-ref-311)
313. () من وحي القُرآن ج17/ ص188. [↑](#footnote-ref-312)
314. () ج19/ ص109. [↑](#footnote-ref-313)
315. () سورة يس/ الآية 6. [↑](#footnote-ref-314)
316. () سورة الشورى/ من الآية 7. [↑](#footnote-ref-315)
317. () سورة الأنعام/ من الآية 51. [↑](#footnote-ref-316)
318. () سورة مريم / من الآية 97. [↑](#footnote-ref-317)
319. () سورة الأنعام/ من الآية 19. [↑](#footnote-ref-318)
320. () من موضوعات القُرآن الكريم (العناد والعقاب في سورة الشعراء) / ص61. [↑](#footnote-ref-319)
321. () سورة الشورى/ من الآية 23. [↑](#footnote-ref-320)
322. () مفاتيح الغيب ط. دار الكتب العلمية ج27/ ص142. [↑](#footnote-ref-321)
323. () في ظلال القُرآن ج25/ ص3153- 3154. [↑](#footnote-ref-322)
324. () سورة الشورى/ من الآية 23. [↑](#footnote-ref-323)
325. () تفسير القُرآن العظيم ج4/ ص112- 113، ويُنظر: المحرر الوجيز ج13/ ص163- 164. [↑](#footnote-ref-324)
326. () نظم الدُّرر ج17/ ص296. [↑](#footnote-ref-325)
327. () فتح الباري ج8/ ص564، ويُنظر: أضواء البيان ط. دار الفكر ج25/ ص5227. [↑](#footnote-ref-326)
328. () المُقتطف من عُيون التفاسير ج4/ ص573. [↑](#footnote-ref-327)
329. () معارج التفكُّر ودقائق التدبُّر ج12/ ص621. [↑](#footnote-ref-328)
330. () التفسير الوسيط ج3/ ص2101، ويُنظر: أحكام القُرآن ج4/ ص13. [↑](#footnote-ref-329)
331. () سورة سبأ/ من الآية 13، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص121- 125. [↑](#footnote-ref-330)
332. () من موضوعات القُرآن الكريم (الرسالة والساعة في سورة سبأ)، ص65، ويُنظر: اللُّباب في علوم الكتاب ج11/ ص395، وأضواء البيان ج1/ ص278، والتفسير المُنير ج10/ ص483، و ص488. [↑](#footnote-ref-331)
333. () يُنظر: التفسير الكاشف ج4/ ص234، وتقريب القُرآن ج12/ ص47، والأساس في التفسير ج3/ ص1427- 1432. [↑](#footnote-ref-332)
334. () من هُدى القُرآن ج14/ ص106. [↑](#footnote-ref-333)
335. () سورة الأنفال/ من الآية 34، ويُنظر: المرجعية القُرآنية/ ص168- 171. [↑](#footnote-ref-334)
336. () فتح الباري/ باب الصلاة على النَّبِيِّ » - رقم (5995) ج11/ ص164، ويُنظر: سُنن أبي داود/ كتاب الفتن والملاحِمِ (باب ذِكْرِ الفِتَنِ ودلائلها) - رقم (4242) ج2/ ص495. [↑](#footnote-ref-335)
337. () سورة العصر/ الآيات 1- 3. [↑](#footnote-ref-336)
338. () من وحي القُرآن ج24/ ص463، ويُنظر: التفسير الكاشف ج7/ ص605، والتفسير الأمثل ج20/ ص392، و«من هدى القرآن ج18/ ص334»، وتقريب القُرآن ج30/ ص238. [↑](#footnote-ref-337)
339. () التفسير الأمثل ج1/ ص217، ويُنظر: مواهب الرحمن ج1/ ص317، و«من هدى القرآن» ج1/ ص159. [↑](#footnote-ref-338)
340. () سورة الذاريات/ الآيتان 35- 36. [↑](#footnote-ref-339)
341. () وذلك هو معنى الإيمان. [↑](#footnote-ref-340)
342. () وذلك هو معنى الإسلام. [↑](#footnote-ref-341)
343. () المُعجم الموضوعي للقُرآن الكريم ج1/ ص52، ويُنظر: معاني القُرآن الكريم ج4/ ص486، والتفسير المُنير ج14/ ص35. [↑](#footnote-ref-342)